أبناء يهوذا في الخفاء ٤

اليهود في المعسكر الشرقي

تأليف
داود عبد العفو سنقرط

دار الفرقان

أبناء يهوذا في الخفاء

اليهود في المعسكر الشرقي

تأليف
داود عبد العفو سنقرط

دار الفرقان

الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
الرقم المتسلسل (٧٤)



دار الفرقان للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
ص. ب ٩٢١٥٢٦ - هاتف ٦٤٠٩٣٧ - ٦٤٥٩٣٧ - ٦٢٨٣٦٢
العبدلي : عمارة جوهرة القدس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قارئي الكريم . .

وهذا هو الكتاب الرابع من سلسلة كتب « أبناء يهوذا في الخفاء » الخمسة أقدمه اليك، بعد أن قدمت اليك: « جذور الفكر اليهودي »، و « القوى الخفية لليهودية العالمية »، و « اليهود في المعسكر الغربي » .

إن هذا الكتاب « اليهود في المعسكر الشرقي » يتناول، كما سوف ترى، تغلغل اليهود في المعسكر الشرقي، وكيف صاغوا للناس هناك الفكر الإشتراكي الماركسي، وساهموا مساهمة فعالة في إقامة الحزب الشيوعي، والدولة الشيوعية الأولى في روسيا، وفي غير روسيا بعد ذلك، بحيث أصبح لهم فيها ما يقرب من ٨٠٪ من الممثلين في الحكومة والحزب والهيئات المدنية والعسكرية الأخرى.

لقد خرصت في هذا المقام أن أتتبع التحرك الشيوعي في وطننا العربي نشأة ومساراً، وماذا كان دور الاتحاد السوفيتي بصورة خاصة، ودور الدول الشيوعية والأحزاب الشيوعية، وبخاصة الأحزاب الشيوعية العربية، بصورة عامة، بالنسبة لقضايانا وهمومنا العربية، وعلى رأسها قضية فلسطين، التي كانت وما تزال عقدة القضية العربية الأولى.

لقد بينت، بالأدلة القاطعة، أن نشأة الأحزاب الشيوعية في بلادنا كانت بأيد يهودية، كما بينت العلاقة القوية التي تربط الشيوعية بالصهيونية، التي يحرص الشيوعيون، وبخاصة الشيوعيون العرب، على إنكارها وإخفائها، بل ويبرزونها وكأنهما نقيضان لا يلتقيان.

لقد حرصت أيضاً على إبراز تهافت معظم أعمدة الماركسية كنظرية عند التطبيق العملي، وتهافتها كنظرية وتطبيق في مجتمعنا العربي الإسلامي «فيا عمال العالم اتحدوا، العامل لا وطن له» تتناقض مع عروبتنا وقوميتنا... و«الدين أفيون الشعوب» تتناقض مع ديننا الإسلامي الحنيف، مستهدفاً في ذلك كشف الغشاوة عن أعين من لا تزال بصيرته تطغى على بصره، فتصيبه بالعشى أو عمى الألوان.

والله أسأل أن يرينا الحق حقاً، والباطل باطلاً.. وما ذلك على الله بعزيز.

الفصل الأول
فلتتأدب روسيا

١ ـ اليهود في الغيتو
٢ ـ لينين والثورة البلشفيه .
٣ ـ من تاريخ الحزب الشيوعى الروسي
٤ ـ اندلاع الثورة الشيوعية .
٥ ـ اليهود يحكمون روسيا .
٦ ـ الشيوعية والصهيونية توأمان .

١ ـ اليهود في الغيتو:

هـزت حملـة نـابليـون على روسيـا، سنـة ١٨١٢م.. قيصرها، الإسكندر الأول، هزاً عنيفاً، فأخذ على عاتقه تنظيم بلاده من جديد، فأصدر لذلك عدة قوانين، تستهدف تحسين أوضاع الشعب، وضم صفوفه. وكان من بين هذه القوانين قانون ألغى به القيصر الأحكام الزجرية التي كانت مطبقة على اليهود، منذ سنة ١٧٧٢م..، والتي كانت تحدد إقامتهم في أماكن معينة خاصة بهم (غيتو) بذل قصارى جهده لحملهم على العمل في الزراعة وغيرها، وتشجيعهم على الاندماج الكامل بالمجتمع الروسي.[١]

وللغيتو اليهودي (حارة اليهود)، منذ ان وجد اليهود، قصة.. فهم منذ أن آمنوا بأنهم شعب الله المختار، ومنذ بدأوا يمارسون جرائمهم بحق الشعوب، كانوا يفضلون أن يعيشوا في معازل خاصة بهم، أخذت بمرور الزمن طابعاً خاصاً مميزاً.. حارة في مكان لا يثير الشبهات، لها مدخل واحـد ضيـق، وليس لها مخرج، أبنيتهـا غير متنـاسقـة، ومتكأكئة على بعضها وكأنها أكوام من الحجارة لا مباني، شبابيكها قليلة وضيقة أيضاً، طرقها ومداخلها أزقة متعرجة ضيقة.. في هذه الحارة كان اليهود، وما يزالون، يمارسون حياتهم الخاصة بهم، ويتوارون بجدرانها وأزقتها عن أعين

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، وليام غاي كار، ص ١٤٩.

الناس، فيساعدهم ذلك على ممارسة جرائمهم بحق الأغيار، والتنفيس عن عقدهم وأحقادهم. لقد أفادهم هذا التجمع المغلق وأضرهم في آن واحد.. أفادهم بأن حفظ لهم، على قلتهم وضعفهم، روح الجماعة والثقافة اليهودية التقليدية، وأبعدهم عن أن تطالهم أيدي الأغيار كلما ثار الأغيار عليهم. وأضرهم بأن جعل أصابع الاتهام تشير إليهم في مكامنهم، فيضطهدون هناك ويذبحون، حين تزيد جرائمهم عن طاقة احتمال الشعب المبتلى بهم. ومع هذا، فقد كان اليهود يشعرون دوماً بالحاجة إلى انفتاح المجتمعات البشرية عليهم، بدون أن ينفتحوا هم عليها، لئلا يعرف ما بداخل الغيتو من أسرار وألغاز. ولهذا فقد كانت تلك المعازل مزيجا من القسر والاختيار.. قسر من الأغيار، ليتجنبوا بذلك جرائم اليهود وسوءاتهم، واختيار منهم للمحافظة على دينهم وثقافتهم وأموالهم وأرواحهم. ولهذا فاليهود كانوا أول المنادين بالحركات الأممية، إذ بها يستطيعون أن يكسروا الأطواق التي ضربت حولهم: فيخرجوا من عزلتهم إلى العالم الخارجي.

وفي سنة ١٧٩٣م.، ظهر الى الوجود ثلاث دول منفصلة هي: روسيا، وبروسيا، وبولندة، بعد أن كانت هذه الدول دولة واحدة تعرف بدولة بولنده. وبهذا قسم يهود بولنده القديمة على الدول الثلاث الجديدة، فكان من

نصيب روسيا العدد الأكبر منهم، بصفة روسيا أكبر الدول الثلاث.

حددت روسيا، بعد أن كثرت جرائم اليهود بحق الشعب الروسي، أماكن سكنهم وإقامتهم حتى يسهل على الدولة مراقبتهم، مع اعطائهم ادارة شئونهم المحلية، بما فيها فرض الضرائب، وإقامة محاكمهم الخاصة بهم. ولم يكن ليسمح لهم بمغادرة هذه الأماكن الى غيرها الا باذن خاص من السلطة المحلية، وبقيود مشددة.

وحين جاء القيصر نيقولا الأول لم يرتح للتغلغل السريع الذي حققه اليهود في زمن سلفه الاسكندر الأول، ولا للإصرار العنيد الذي أبدوه للحفاظ على لغتهم وزيهم المميز. ولهذا، وفي محاولة منه لاذابتهم في المجتمع، اصدر هذا القيصر قوانين جديدة تجبرهم على ارسال جميع أولادهم الى المدارس الحكومية. وهكذا أصبح التعليم إلزاميا، بالنسبة لأولاد اليهود، ولم يكن كذلك بالنسبة لأولاد الروس، مما أدى الى جعل أولاد اليهود الفئة الاكثر ثقافة ووعياً في طول روسيا وعرضها. وفرض عليهم كذلك الخدمة العسكرية الإجبارية، التي كانوا محرومين منها، فنشأ لهم بذلك جيل محارب، يستطيع حمل السلاح واستخدامه، فزالت منهم الرهبة من السلاح والموت.[٢]

---

(٢) المصدر السابق ص ١٤٩ أيضاً

وجاء على اثره القيصر الاسكندر الثاني، الذي وصفه بنجامين دزرائيلي بأنه كان من أكثر قياصرة الروس تسامحاً، فسمح لهم بتولي المناصب الحكومية، والسكن أينما شاءوا في الاراضي الروسية كلها، بدون شروط ولا قيود، وظلت سياسة ترويس اليهود الروس سائرة على قدم وساق، حتى محاولة اغتيال القيصر الأولى، سنة ١٨٦٦م، مما دعا الحكومة إلى إحكام قبضتها على الشعب كله، واليهود في جملته.

نقم اليهود لذلك على القيصر الإسكندر، فأسسوا جمعية إرهابية سرية، عرفت باسم جمعية «نارونا يافوليا» أي إرادة الشعب، بقصد بذر بذور الثورة في البلاد، وبخاصة بين صفوف العمال. وقام هؤلاء بمحاولة أخرى لاغتيال القيصر، إلا أن المحاولة فشلت، كما فشلت سابقتها. ولكنهم تمكنوا من اغتياله في المحاولة الثالثة، سنة ١٨٨١م. لا بالرصاص الذي قد يطيش، ولكن بين ذراعي غانية يهودية، تدعى هسيا هلفمان، استدرجت القيصر إلى مخدعها، وهناك لقي حتفه بكل هدوء. واشارت اصابع الاتهام إليهم فتعرضوا لذلك إلى مذابح رهيبة، في جميع أنحاء روسيا.[٣]

بعد ذلك أخذت التنظيمات السرية الثورية، التي يقودها

---

(٣) المصدر السابق، ص ١٥٠

ويوجهها اليهود، تحرج الحكومة، باثارة الشغب والقلاقل، وتقضي على كل من يقف في طريقها بالتصفيات الجسدية. ولهذا اصدر القيصر الإسكندر الثالث، سنة ١٨٨٢م، قوانين زجرية صارمة بحقهم، بحيث ارجعهم ثانية إلى معازلهم، واخذ يلاحقهم ويطاردهم، مبررا عمله هذا بقوله: «لأنهم لم يكتفوا بالسيطرة على التجارة والأعمال بجميع فروعها، بل وسيطروا أيضا على معظم اراضي روسيا، إما بالشراء، أو بالرهن. وباستثناء القلة القليلة منهم، فإنهم كرسوا جميع جهودهم كمجموع في خداع الشعب، بحيلهم المختلفة. لقد قاسى الفقراء الروس منهم بنوع خاص، ورفعوا اصواتهم محتجين. وتجلى ذلك في أعمال العنف التي قام بها الشعب ضدهم. لذلك لم تجد الحكومة بدا سوى تخليص الشعب الروسي من استغلالهم، ومن أعمالهم الشريرة، التي هي السبب الأصلي لأعمال العنف ضدهم. لذلك لجأت الحكومة إلى سن مثل هذه القوانين الرادعة»[٤] هذا بعض ما قاله القيصر الاسكندر الثالث إلى وفد يهودي جاءه محتجا على إصدار تلك القوانين الزجرية بحقهم.

وفي هذا الجو المحموم ظهرت الحركتان: الشيوعية، والصهيونية، بين صفوف اليهود. الصهيونية تعبر عن طموحهم إلى التجمع في دولة واحدة خاصة بهم، والخلاص

---

(٤) المصدر السابق ص ١٥١-١٥٢

من المجتمعات التي تضطهدهم . أما الشيوعية فانها تعبر عن طمومهم إلى تدمير القيصرية ، وإقامة دولة في روسيا ، تكون لهم فيها الكلمة العليا . . دولة تستوعبهم من أعلى لا من أسفل . وبناء على ذلك أخذ اليهود يقاومون الاصلاح في روسيا ، حتى تتردى الأوضاع فيها ، لدرجة يتمكن فيها رجال المنظمات الإرهابية والأحزاب الثورية من العمل بحرية ، وإثارة مشاعر الناس وسخطهم ، ومن ثم يضربون ضربتهم النهائية بالاستيلاء على السلطة . . وهكذا كان ، وهكذا ، وقف اليهود ضد جميع الإصلاحات التي قام بها الإسكندر نقولا الثاني ، آخر قياصرة روسيا . . تلك الإصلاحات التي جاءت في أعقاب ثورة تروتسكي الفاشلة ، سنة ١٩٠٥م . . ولقد اغتالوا رئيس الوزراء ستولبين ، سنة ١٩١١م . لأنه أعطى الشعب الدستور ، كما أعطى الفلاح الأرض ، لا لسبب إلا لأنهم اعتبروا أن مثل هذه الإصلاحات ستقف حجر عثرة في طريق الثورة التي خططوا لها . ولم يكن يهود روسيا بمعزل عن اليهودية العالمية ، وبخاصة كبار الماليين اليهود منها .

لقد كانت خطة اليهودية العالمية ، لإنجاح الثورة في روسيا ، أن تتظاهر مؤسسة روتشيلد بمساعدة روسيا ، حتى تورطها في حرب مع اليابان ، ثم تمتنع بعد ذلك عن مساعدتها ، وفي نفس الوقت تساعد مؤسسة كوهن ـ لوب

اليابان فعلا حتى تساعدها على مواصلة الحرب، ثم يقوم اليهود الروس بقطع طرق المواصلات، ومنع الإمدادات عن الجيش الروسي في سيبيريا، حتى يتم تدميره وهزيمته. وهكذا فحين قامت الحرب الروسية - اليابانية، سنة ١٩٠٤م، رفضت مؤسسة روتشيلد أن تمد روسيا بالقروض والمساعدات كما وعدتها بينما وفت مؤسسة كوهن - لوب بوعدها لليابان، بحيث أمدتها بكل ما احتاجت اليه من قروض ومساعدات... وخسرت لذلك روسيا الحرب، وخرجت منها مهزومة، مهيضة الجناح.[٥]

لقد كان كل شيء يسير ضمن الخطة المرسومة... الخطة التي رسمها بارونات المال العالميون. ولذلك، فقد توقف هؤلاء عن تمويل الثورة الروسية، حين قام المنشفيك الذين كان يقودهم مارتوف، سنة ١٩٠٥م، بثورتهم، مع أن كل زعمائها، وفي جملتهم مارتوف نفسه، كانوا من اليهود، لا لسبب إلا لأن المنشفيك كانوا يعملون وفق مبادىء مستقلة، بعيدة عن تخطيط أولئك البارونات. ولهذا سحب رجال المال العالميون البساط من تحت قدمي مارتوف وحزبه المنشفي، ليضعوه تحت قدمي لينين وحزبه البلشفي، لأن لينين كان قد ارتبط بهم، ووعدهم بالسير في مخططهم الذي رسموه حرفا بحرف[٦].

---

(٥) المصدر السابق ص ١٥٢
(٦) المصدر السابق، ص ١٥٧

ومما تجدر الإشارة إليه أن راسبوتين، ذلك الراهب الخشن الفظ، كان قد حول قصر القيصر نيقولا الثاني، قبيل اندلاع الثورة البلشفية في روسيا، إلى ماخور للدعارة والشعوذة والتجسس، تماما كما حول لاكلوس وبالسامو قصر البالية رويال، قبيل الثورة الفرنسية، إلى ماخور للدعارة والشعوذة والتجسس، ولنفس الغرض.. وكما استغل لاكلوس وبالسامو سذاجة المركيز دورليان، صاحب القصر، كذلك استغل راسبوتين سذاجة الملكة، صاحبة القصر أيضا.. لقد أوهمها راسبوتين، مستغلا عنصر التدين فيها، بأنه قادر على شفاء ابنها، ولي العهد، من نزيف دموي حاد كان يلازمه. وكان هذا الشيطان المريد يمارس طقوسا وثنية باسم الدين، مستغلا غفلة رواد القصر من علية القوم، من كلا الجنسين، الذين ما كانوا يعرفون الحياة سوى أنها شراب ورقص وغناء ونوم وألقاب ومجاملات..

لقد أغواهم راسبوتين بالفرق فيما هم فيه، بدعوى أن الأرواح لا تنال المغفرة إلا إذا انحدرت إلى الدرك الاسفل في حمأة الرذيلة والفحش. لقد كان هذا الأفاق عضوا

بارزا في كنيس الشيطان، كنيس لوسيفير، باعث النور، نور محفل الشرق الأكبر الماسوني.. لقد كان حاخاما كبيرا، يلبس الزي الكهنوتي الارثوذكسي، وبه كان يصطاد تلك الفراشات من النساء الملونات، فيستقي منهن، ما كان

يستقيه بالسامو من رواد قصر البالية رويال، أدق الأخبار، وأخطر الأسرار.

٢ ـ لينين والثورة البلشفية:

وتجمعت قيادات جميع الحركات الثورية من اليهود، وانشأوا حزبا ثوريا واحدا سموه: «الحزب الاشتراكي الثوري»، الذي قرر أن يخرج إلى الشعب علنا، ليتقوى به، بعد أن ضربت الحركات الثورية جذورها في الأرض، بشرط أن يجتاز كل من يرغب الانضمام إليه من غير اليهود امتحانا صعبا قاسيا، لاختبار مدى صلاحية العضو وتحمله(٧) وبما أن اليهود كانوا معفون من تأدية هذا الاختبار لذلك أصبحوا أكثرية في صفوفه، وبخاصة في القيادات التوجيهية العليا. وزاد من متانة مركزهم في الحزب تلك الأموال التي كانت تتدفق عليه من بارونات المال اليهود في الخارج، عن طريق أعضاء الحزب الروسي. لقد عقد بارونات المال هؤلاء اجتماعا لهم في استكهولم عاصمة السويد، ضم منهم: ماكس واربورغ، وأدولف استبرغ، وجيفولوفسكي (والد زوجة تروتسكي)، ووضعوا خطة يستولون بها على الثورة الروسية بالمال، وبمساعدة

(٧) هذا اسلوب يهودي يتبعونه عادة عندما ينفتح اليهود على الاغيار للاستعانة بهم في مخططاتهم لأنهم خشية من افتضاح امرهم وانكشاف خططهم لا يأخذون من الأغيار سوى من فيه من الصفات ما يحقق لهم مآربهم وعودة إلى الماسونية الرمزية وما فيها من ارتقاء سلم ذي ٣٣ درجة يؤيد ما ذهبنا اليه.

الرفيقين: تروتسكي، وزينوفيق [٨].

لقد نجح الكسندر اليانوف في الاختبار الاوليّ، الذي عقد له للانضمام إلى الحزب الاشتراكي الثوري. وحين طلب العضوية كاملة، كلفوه، لاختباره قبل الثقة الكاملة فيه، أن يشترك في عملية أعدت لاغتيال القيصر، إذا هو أراد ذلك، ولما فشلت المؤامرة، ألقي القبض على الكسندر اليانوف هذا، فيمن ألقي القبض عليهم ممن اشتركوا في محاولة الاغتيال، وحوكم وحكم عليه بالموت، فأعدم. وكان هذا هو السبب الرئيسي الذي دعا أخاه فلاديمير اليانوف (لينين) للانضمام الى الحزب، لينتقم بذلك من قتلة أخيه، الذي كان يحبه ويجله، وأن ينذر نفسه لقضية الثورة بعد ذلك [٩].

لقد التقى لينين مع بارونات المال اليهود، أول ما التقى، سنة ١٩١٠م، في لندن، حين اجتمع فيها مع ١٩ قائدا من قواد الثورة العالمية. لقد ضغط عليه هؤلاء ومعظمهم من اليهود، للتخلي عن سياسته التمويلية المستقلة، وقبول المساعدات من الممولين العالميين اليهود، فاستجاب لينين لطلبهم [١٠]، لأنه كان بحاجة شديدة إلى المال آنذاك،

---

(٨) المصدر السابق ص ١٤٤

(٩) المصدر السابق ص ١٥٤

(١٠) رفعت المخابرات الامريكية سنة ١٩١٦ تقريرا الى جميع دول الحلفاء تخبرهم فيه ان ثورة شيوعية تقوم في روسيا يمولها ثمانية من كبار البيوتات المالية اليهودية الامريكيين إلا أنه قد غطى الخبر تعتيم مزيف فضاع كما ضاعت اخبار أخرى هامة في دهاليز ابناء يهوذا المظلمة.

فأحرق ما تبقى معه من الأوراق المالية، من فئة الخمسمائة روبل، التي كان ستالين قد حصل عليها، عندما سطا على بنك تفليس، والتي كانت مراقبة التداول، بسبب ذلك. وبذلك سار لينين وحزبه البلشفي على الطريق الذي رسمه الجنرال الأمريكي بايك، تلميذ چوسيبى غريبالدي، قبل ذلك بأكثر من نصف قرن من الزمان.[١١]

وحين قامت الحرب العالمية الأولى، كان لينين ومارتوف في سويسرا[١٢] أما تروتسكي فكان في نيويورك، يشرف على ألوف الثوريين الروس، الذين لجأوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية هربا من ملاحقات القيصر.

وكان يقود الثورة ويشعلها آنذاك في روسيا حزب المنشفيك، وذلك بقطع وسائل المواصلات والاتصالات السلكية واللاسلكية، وتأخير وصول الامدادات من مؤن وذخائر إلى الجيش، والتجسس لألمانيا على روسيا.. وفي

---

(١١) المصدر السابق، ص ١٧١

(١٢) استخدم ملوك المال اليهود سويسرا والسويد مركزين اساسين يضعون فيهما خططهم ويحيكون مؤامراتهم ويخزنون ذهبهم واموالهم سويسرا لموقعها الممتاز في وسط اوروبا فوق جبال عالية صعبة المرتقى والسويد لوقوعها في ظل اوروبا في اقصى شمالها الغربي بعيدة عن العيون والانظار ولهذا السبب اعلن هؤلاء حياد سويسرا في السلم والحرب حتى يأمنوا على انفسهم وخططهم واموالهم من الرياح العاصفة لقد تضاءل مركز السويد بعد الحرب العالمية الاولى فتسلمت منها سويسرا عصاها وهكذا اصبحت سويسرا تلعب بعصوين: عصاها وعصا السويد معا فلا عجب اذن ان اصبحت سويسرا عاصمة المال والمصارف العالمية وأن أصبحت عاصمتها جنيف قصرا لعصبة الامم المتحدة.

سنة ١٩١٧م، صعد هؤلاء الثورة، مستغلين ظروف الحرب، وجوع الشعب، وتمرد بعض قطعات من الجيش، فتمكنوا من فتح أبواب السجون، كما حصل في الثورة الفرنسية مع الباستيل، فكان خروج السجناء منها إيذانا بزيادة نيران الثورة اشتعالا. وأخذت مناشيرهم تحض الناس على الثورة والانضمام إلى صفوفها. وقبل أن يدخل لينين بتروغراد من سويسرا، في عربة قطار المانية محروسة مصفحة وقبل أن يدخل تروتسكي بفرسبورغ من امريكا في مدمرة انجليزية محروسة مسلحة، كان حزب المنشفيك بقيادة مارتوف من الخارج والحزب الديمقراطي الاشتراكي بقيادة كيرنسكي في الداخل، هما المسيطران على أغلبية المناطق في روسيا.

وعاد لينين ومارتوف ورادليك، على رأس ٢٢٤ رجلا من كبار الزعماء الشيوعيين، فيهم ١٧٠ يهوديا، عادوا إلى روسيا، مزودين بالمال اللازم، قدمه إليهم آل واربورغ بالمانيا، نيابة عن بارونات المال اليهود، ومزودين ايضا بوعد من هؤلاء بتقديم المال اللازم إليهم كلما احتاجوا إلى المال، مقابل إسقاط الحكم القيصري في روسيا، وسحب الجيش الروسي من الجبهة الشرقية، حتى يتأخر استسلام الألمان، ليكسر المزيد من رؤوسهم وعنجهيتهم. وبالفعل، فقد رصد هؤلاء للينين وتروتسكي مبلغ خمسين مليون دولار في

بنوك ستكهولم، عاصمة السويد، يستخدمانها عند الحاجة(١٣). وكان ذلك بقرار اتخذه بارونات المال اليهود في اجتماع لهم عقدوه في السويد، وحضره ممثلون عن بيوتاتهم المالية في المانيا، وبريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة، وروسيا، وسويسرا.

وحين رأى القيصر، نيقولا الثاني، أن الأمور كادت تفلت من يده، أوعز إلى كيرنسكي أن يشكل حكومة، في محاولة منه لتهدئة ثائرة الشعب. وحين تولي كيرنسكي الحكم اصدر عفوا عاما عن جميع السجناء والمعتقلين والمنفيين السياسيين داخل روسيا وخارجها، مما مكن تسعين ألفا من الأعضاء البلشفيك المدربين من دخول روسيا، وعلى رأسهم لينين وتروتسكي، ومادري كيرنسكي انه وقع بيده قرار إعدامه واعدام حكومته وحزبه الاشتراكي عندما وقع إعلان العفو العام ذاك.. لقد سحب العائدون البساط من تحت رجلي كيرنسكي، فاستلموا السلطة منه، وسحبوا الجيش من الجبهة، واعلنوا حكومة دكتاتورية برئاسة لينين. لقد كان البلشفيك أقلية في حكومة كيرنسكي، وكانت حكومته ترى الاستمرار في حرب ألمانيا، وعدم الانسحاب من الميدان.(١٤)

---

(١٣) المصدر السابق، ص ١٧٥-١٧٩

(١٤) هذا اسلوب يهودي اخذه عنهم الشيوعيون ألم نر كيف زج اليهود بروسيا سنة ١٩٠٤م في محاربة اليابان، وقد منوها بالقروض والمساعدات ثم حجبوها عنها =

ومن المفارقات المذهلة في هذا الصدد أن الإنجليز كانوا يؤخرون أو يمنعون، في بعض الأحيان، وبضغط من بارونات المال اليهود، وصول الذخائر والأعتدة الحربية إلى روسيا، إبان الحرب، مع أن الروس كانوا من حلفائهم، كي تنجح الثورة البلشفية بزعامة لينين وتروتسكي. وأنه وبينما كانت مؤسسة كوهن - لوب المالية، في نيويورك، تمول الثورة في روسيا، كان آل روتشيلد، في لندن، مسئولين عن إدارة اعمال القيصر نيقولا الثاني المالية. وتزداد المفارقة هزلا وهزالا إذا علمنا أن صحف حزب الأحرار، التي كان يمتلكها ويديرها آل روتشيلد، كانت مع الثورة، ضد القيصر صديقهم.. يد تصافح، ويد تحمل الخنجر المسموم، تحت العباءة[١٥].

واستنكر الحزب الإشتراكي الثوري، وجل أعضائه من اليهود، أن يصبح لينين غير اليهودي الرجل الأول في

= وقدموا القروض والمساعدات لليابان؟ وهكذا يفعل الشيوعيون في بلادنا وفي غيرها يحركون الشعور الوطني ويتحالفون مع الجماعات الوطنية المختلفة ثم ينسحبون من الميدان عندما تتأزم الامور مؤثرين السلامة حتى يأتي الوقت الذي يكونون قادرين فيه على استلام السلطة في ايديهم وحدهم والشيوعيون لا يفرقون بين الحكومات التي يحاربونها وبين الفئات الوطنية التي تحاربها طالما أن الحكم لن يكون في ايديهم فسياسة ضرب راس هذا براس ذاك ايا كانت الرؤوس هي السياسة المتبعة عندهم وهي سياسة يهودية الجذور تمهيدا لتحطيم كل الرؤوس ليبقوا هم سالمين وسلوك الشيوعيين العراقيين في عهد عبدالكريم قاسم وسلوك الشيوعيين الاردنيين في ازمة وزارة سليمان النابلسي خير مثال على ذلك.

(١٥) المصدر السابق، ص ١٩٢-١٩٤

روسيا، ولذلك حاولوا اغتياله، فجرح، وفشلت المحاولة، مما دعا لينين أن يجري حركة تفتيش إرهابية واسعة النطاق، قتل فيها عددا كبيرا من زعمائهم. وحاولوا، بعد ذلك، أن يلعبوا اللعبة إياها مع ستالين، فأجهز هذا على البقية الباقية منهم، وعلى رأسهم تروتسكي، الذي لاحقته جواسيس ستالين حتى أمريكا، واغتالوه فيها. لقد أطاح ستالين بمعظم الرؤوس اليهودية، التي كان لها الصدارة في زمن لينين، مثل زينوڤيف، وكامنيف، ومارتينوف، وزاتسولتش، إلا أنهم عادوا بعد موته، وطفوا على السطح.. ومازالوا يلعبون بمقدرات روسيا والمعسكر الشرقي بكامله، ولكن من وراء ستار.

وبعد توقيع معاهدة الصلح في ڤرساي، بدأت حرب صورية ضد الثورة الروسية للتغطية والتمويه، كما قامت حرب صورية ايضا ضد أتاتورك للتغطية والتمويه كذلك.. الحرب الأولى لتعطي لينين الحجة ليتخلى عن نصرة ثورة روز الوكسمبورغ في المانيا، تلك الثورة التي قرر بارونات المال تصفيتها لتخدم مخططاتهم. والحرب الثانية لتعطي أتاتورك الحجة ليهدم الخلافة الإسلامية، ويعلن علمانية تركيا.. وكلا الحربين مكنتا للرجلين في الداخل، بصفتهما بطلي حرب واستقلال.

٣ ـ من تاريخ الحزب الشيوعي الروسي:

كانت الفرقة الماركسية الأولى هي فرقة «تحرير العمل»، انشأها الماركسي بليخانوف، في جنيف، سنة ١٨٨٣م. ولقد عاون بليخانوف في ذلك ثلاثة من كبار الماركسيين اليهود، هم: زاتسوليتش، وليدويتش، وأكسلرود. ونشرت هذه الفرقة أراء ماركس نظريا، لدرجة أن مدحها لينين بعد ذلك بقوله: «لقد ثقف كتاب بليخانوف «دراسة حول تطور المنهج الوجداني للتاريخ جيلا كاملا من الماركسيين».

وفي سنة ١٩٠٠م. سافر لينين إلى سويسرا، بعد أن عاد من منفاه في سيبريا. وفي سويسرا التقى لينين ببليخانوف ورفاقه، فأصدروا جميعا صحيفة «أيسكرا» أي الشرارة، لتنطق بلسان الحركات الماركسية، وتعمل على توحيدها. لقد تألف مجلس إدارة الأيسكرا من: بليخانوف، وزاتسوليتش، وأكلرود، ولينين، وبوتريسوف، ومارتوف، ثم انضم إليهم تروتسكي، سنة ١٩٠٢م. أما أمانة السر فقد عهد بها إلى تادزاكروبسكايا، زوجة لينين اليهودية. وجميع هؤلاء، ما عدا لينين وبليخانوف، كانوا من اليهود.

وفي سنة ١٩٠٣م. عقد المؤتمر الشيوعي الثاني في لندن، فحضره ٦٠ عضوا، ٤٣ منهم كانوا من اليهود.

وفي هذا المؤتمر انشطرت الحركة الشيوعية إلى شطرين: بلشفيك بزعامة لينين، ومنشفيك بزعامة الإرهابي اليهودي مارتوف. ولقد سيطر لينين وأنصاره على المؤتمر، فأقروا برنامج لينين إليه وكان لهذا البرنامج حدان: حد أدنى، وهو قلب الاوتوقراطية القيصرية، وإقامة جمهورية وطنية، وإحراز بعض المكاسب للعمال. وحد أعلى، وهو قلب نظام الحكم في روسيا كاملا، وإقامة دكتاتورية الطبقة العاملة، كما تقضي بذلك الماركسية. وظل هذا البرنامج برنامج الحزب الشيوعي، حتى المؤتمر الثامن، الذي عقد سنة ١٩١٩م.

وفي سنة ١٩٠٥م، عقد المؤتمر الشيوعي الثالث في لندن. وفي سنة ١٩٠٦م، عقد المؤتمر الشيوعي الرابع في استكهولم. وفي هذين المؤتمرين لم يحضر أحد من المنشفيك. أما المؤتمر الشيوعي الخامس، فعقد في لندن، وقد حضره ١٠٥ أعضاء من البلشفيك بزعامة لينين و ٩٧ عضوا من المنشفيك، بزعامة مارتوف، و ٤٤ عضوا من الديمقراطيين الإشتراكيين، بزعامة روز الوكسمبورغ و ٥٥ عضوا من الاتحاد اليهودي (حزب البوند)، بزعامة رفائيل أبراموفيتش و ٣٥ عضوا من الديمقراطيين الليتوانيين بزعامة وانيشفسكي. فإذا علمت أن هذا المؤتمر قد حضره ٢٢٠ عضوا يهوديا، من مجموع أعضائه البالغين ٣٣٦

مندوبا، أي ان اليهود يشكلون اكثرية ٦٠٪ علمت مدى قوة وتأثير اليهود في تأصيل الحركة الشيوعية العالمية، وفي انتشارها سابقا ولاحقا.

قرر هذا المؤتمر إصدار صحيفتين: صحيفة بروليتاريا، تمثل البلشفيك، ويرأس تحريرها لينين، يساعده بروفنسكي، وزينوفيف، وكامنيف، والثالث والرابع منهم يهوديان. وصحيفة غولوس سوسيال ديموكرات (صوت الاشتراكي الديمقراطي)، تمثل المنشفيك، ويرأس تحريرها مارتوف، يساعده بليخانوف، وأكسلرود، ودان، ومارتينوف، وكلهم من اليهود، ما عدا بليخانوف. ثم اصدر تروتسكي صحيفة فينا براڤدا، سنة ١٩٠٨م. وفي سنة ١٩١٠م، غدت صحيفة صوت الاشتراكي الديمقراطي هي صحيفة الحزب العامة، واشترك في تحريرها لينين، وزينو فيف عن جماعة البلشفيك، ومارتوف ودان عن المنشفيك. أما فينا براڤدا فقد اعتبرت صحيفة الحزب الرسمية، وانتدب كامنيف لمساعدة تروتسكي في تحريرها.

٤ ـ اندلاع الثورة الشيوعية:

ومضت سنوات ست، من سنة ١٩١١م. إلى سنة ١٩١٦م، في الدعوة، والتنظيم، والتحضير للثورة، ومع ذلك فقد جاءت الثورة، بالنسبة لتداعي الأوضاع العالمية

وترديها، مفاجئة حتى لأكثر العناصر الشيوعية تفاؤلا .. ففي سنة ١٩١٧م، بدأت اضطرابات ٩ كانون الثاني في موسكو، وظلت تتسع وتتسع، حتى بلغت، في شباط من نفس العام، حد الثورة. لم تكن الثورة شيوعية في بدايتها، بل كانت ديمقراطية ذات اتجاه إصلاحي. فقد اتخذت الحكومة المؤقتة، بزعامة ابن عم القيصر الأمير لفوف، وبخاصة بعد انضمام كيرنسكي إليها، بعض التدابير الأولية لمطالب الثوار، مثل إعادة جميع المنفيين من سيبريا، والسماح للهاربين في الخارج من العودة إلى ارض الوطن، كما اتخذت بعض الإصلاحات الأخرى. وكان هؤلاء العائدون حطب الثورة ووقودها .. لقد عاد لينين وصحبه من سويسرا، وعاد تروتسكي وصحبه من أمريكا، وعاد ستالين وصحبه من سيبريا .. فتجمع بذلك جميع زعماء الثورة، وتحت إمرتهم ما يقرب من تسعين ألفا من الاعضاء المدربين، المستعدين للموت من أول إشارة تصدر لهم من أحد زعمائهم. لقد وضع هؤلاء بعد عودتهم مباشرة، خطة لتحويل الثورة لصالحهم. ولم تمض سوى بضعة أشهر، حتى استطاعوا ان يسقطوا حكومة كيرنسكي، وأن يقتلوه ويقتلوا جميع أعضاء حكومته. وهكذا استلم لينين ورفاقه من الحزب البلشفي السلطة كاملة. ويتولى لينين الحكم في روسيا، دخلت البلاد في مرحلة، تميزت بمعالم رئيسية أربعة هي:

١ - بروز قيادة اليهود للحزب الشيوعي بوجه عام، وللصحف الشيوعية بوجه خاص.

٢ - استلام البلاشفة الحكم، بعد تصفية جميع الأحزاب والتنظيات الأخرى، وعلى رأسها حزب المنشفيك.

٣ - حكم روسيا، بدكتاتورية الطبقة العاملة، وبقوة الحديد والنار، حكما إرهابيا.

٤ - استمرار تمويل الماليين اليهود لجميع الحركات اليسارية.

ولهذا فلم يتردد المالي الأمريكي اليهودي، يعقوب شيف، من أن يصرح، عقب ذلك بأن مؤسسة كوهن - لوب، التي هو رئيس لها، قد قدمت للثورة الشيوعية الروسية من الأموال ما ساعد على إنجاحها(١٦) وصرح جيفولوفسكي، المالي الأمريكي اليهودي (والد زوجة تروتسكي) تصريحا مماثلا لتصريح يعقوب شيف. أما الشقيقان الماليان اليهوديان ماكس واربورغ، وبول واربورغ، فقد كانا ينفقان على هذه الثورة، من استكهولم، بسخاء أين منه سخاء جدهما

(١٦) يعقوب شيف هذا قال للكونت وايت مبعوث قيصر روسيا إلى محادثات السلام للحرب الروسية اليابانية ما يلي:

هل يتوقع من اليهود في الولايات المتحدة الامريكية ان تكون جهودهم موجهة لمصلحة الدولة الروسية التي تضطهد اخوانهم في الجنس والدين؟ فاذا لم تستطع الحكومة الروسية التي هي قيد التأليف الآن ان تؤمن السلامة وتكافؤ الفرص لليهود في روسيا فسيأتي الوقت الذي يهجر فيه يهود روسيا ارض آبائهم واجدادهم وستكون المشكلة التي تواجه العالم آنذاك عظيمة وعندها يكون قد قضى الأمر بالنسبة إلى روسيا.

السمؤال[١٧]! لقد أشارت مجلة «فرنسا القديمة» إلى ذلك بقولها: «كوهن ـ لوب وشركاه في أمريكا، ولاذار في باريس، وغونسبرغ في فرنسا وروسيا، وسبايسر في انجلترا وامريكا والمانيا، ومصرف يني في استكهولم.. كلها ساعدت الثورة الشيوعية، وذلك للتمهيد لإقامة دولة يهودية في فلسطين» أما بيت روتشيلد المالي العتيد فقد كان يعمل في ميدان آخر.. لقد كان متخصصا في دعم الحركة الصهيونية، التي كانت تسير جنبا إلى جنب مع الحركة الشيوعية، ولنفس الهدف. هكذا قسم المرابون اليهود الأدوار فيما بينهم[١٨] لإقامة دولة اسرائيل.

٥ ـ اليهود يحكمون روسيا:

وما أن تسلم لينين الحكم في روسيا، حتى بادر اليهود مسرعين إلى ملء معظم المراكز الحساسة في جميع مرافق الدولة والحزب.. فالثلاثة الكبار الذين كانوا يلون لينين في زعامة الحزب والدولة، وهم: زينوفيف (ابغلبوم)، وتروتسكي (برونشتاين)، وكامنيف (روزنفيلد)، كلهم من اليهود. وسيتكلوف (ناهينسكي) ابو الجيش، وتشيرتوف

(١٧) انا شخصيا اشك بالنسبة لمعرفتي بطباع اليهود تاريخيا في وفاء السموأل وكرمه فاذا كان السموأل وفيا كريما كما تذكر بعض الروايات فان صفة اليهودية تنتفي عنه لان الوفاء والكرم لا يلتقيان على يهودي فمن ابرز صفات اليهود البخل والغدر.

(١٨) لهذا اكره اسرائيل، امين سامي الغمراوي، ص ٢٣٣

(قيلدمان) الخصم الألد لكيرنسكي، وبافيوس (هلفاند) الوسيط بين لينين وألمانيا، كلهم من اليهود ايضا. لقد كان المكتب السياسي مكونا من سبعة أعضاء، أربعة من هؤلاء من اليهود الصرحاء، وثلاثة منهم من الروس، اثنان منهم متزوجان بيهوديتين، هما لينين وستالين. وكان مكتب إدارة الحزب والثورة مكونا من سبعة عشر عضوا، ستة من هؤلاء يهود خلص، واثنان من الروس متزوجان بيهوديتين، هما لينين ومولوتوف، وستة من الروس، وثلاثة من قوميات أخرى.

وظل نفوذ اليهود في الحزب والدولة سائدا طيلة عهد لينين، وحتى بداية عهد ستالين، سنة ١٩٢٤م.. إلا أن ستالين تنبه إلى خطرهم، قبل فوات الأوان، فصفاهم قبل اين يصفوه. وهناك من يعتقد بأن ستالين قد وافق، حين وافق، على إنشاء وطن قومي لليهود، حتى يتخلص من شرورهم، وليس إيمانا بحقهم في فلسطين.[١٩] وكذلك فعل هتلر، فقد كان يبحث لهم عن «صندوق قمامة عالمي» على

---

(١٩) لقد كانت زوجة ستالين الثالثة حسناء يهودية تدعى روزا كاغونفيتش وكان لازار شقيقها صديقا مقربا له بحيث عينه ستالين عضوا في المكتب السياسي حتى وفاته اما مولوتوف فقد كانت زوجته شقيقة رأسمالي يهودي امريكي كبير يدعى سام كارب هو صاحب شركة كارب اكسبورتنغ الضخمة وقد مر معنا ان زوجة لينين يهودية تدعى نادز داكروبسكايا وان زوجة تروتسكي هي بنت المليونير الامريكي اليهودي جيفولوفسكي الذي كان احد كبار ممولي الثورة الشيوعية الروسية من امريكا

حد تعبيره، يلقي بهم فيه.. وكنا، مع الأسف ، ذلك الصندوق. وما لنا نذهب بعيدا ، فالشيوعيون العرب يعللون اليوم هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين بنفس العلل. التخلص من جماعة لم يخلصوا بعد للدوله، ويودون الخروج.. فإلى جهنم إذن! ونسي هؤلاء أن المهاجرين سيحملون السلاح ضدهم. ويمكنك أن تتصور مدى نفوذ اليهود، إبان عهد لينين، إذا ما اطلعت على هذه الإحصائية العجيبة:[٢٠]

الجهة	مجموع العاملين	اليهود منهم
أول حكومة	٢٢	١٧
إدارة الحزب	٤٣	٣٤
لجنة الشئون الداخلية	٦٤	٤٥
لجنة الشئون الخارجية	١٧	١٣
لجنة الشئون المالية	٣٠	٢٦
لجنة الشئون القضائية	١٩	١٨
لجنة الشئون الصحية	٠٥	٠٤
لجنة التوجيه العام	٥٣	٤٤
لجنة البناء والتعمير	٠٢	٠٢
لجنة الصليب الأحمر	٠٨	٠٨

(٢٠) خطر اليهودية العالمية عبدالله التل، ص ١٩٦

لجنة إدارة الاقاليم	٢٣	٢١
لجنة شئون الصحافة	٤٢	٤١
لجنة التحقيق مع الموظفين	٠٧	٠٥
لجنة التحقيق عن القيصر وأسرته	١٠	٠٧
مجلس الاقتصاد الأعلى	٥٦	٤٥
مكتب العمال والجنود	٢٣	١٩
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفيتي الرابع	٣٤	٣٣
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفيتي الخامس	٦٢	٣٤
اللجنة المركزية للحزب	١٢	٠٩
المجمـــوع	٥٣٢	٤٢٥

٨٠٪ يهود

لقد كان عدد أعضاء المجلس الشيوعي الأعلى، في زمن ستالين، سنة ١٩٥١م، سبعة عشر عضوا، كلهم يهود صرحاء، ما عدا ثلاثة منهم، هم: ستالين، ومولوتوف، وفورشيلوف. ومع هذا فزوجات هؤلاء الثلاثة يهوديات(٢١) وكان عدد أعضاء المكتب الشيوعي الأعلى في بولندا آنذاك

(٢١) اسماء اعضاء الملجس الشيوعي الأعلى هؤلاء مثبتة في ذيل ص ٦٨ من «بروتوكولات حكماء صهيون» ترجمة محمد خليفة التونسي فليرجع إليه من يشاء.

أحد عشر عضوا منهم سبعة من اليهود الصرحاء، والأربعة الباقون صنائع لهم. وكانت الشيوعية اليهودية آنابوكر تسيطر على الأوضاع في بولندة سيطرة كاملة. وآنا بوكر هذه كانت قد هجرت والدها وإخوتها إلى اسرائيل، ليعملوا على قيامها وحمايتها من مغتصبيها، العرب! أما أعضاء المجلس الشيوعي الأعلى في المجر فكان عددهم خمسة، كلهم من اليهود الصرحاء. وأما تشيكوسلوفاكيا فكان الحزب الشيوعي فيها بيد ثمانية من اليهود الصرحاء، وكذلك الحال في بقية الدول الشيوعية الشرقية، ومعظم الأحزاب الشيوعية في ديار الغرب، بصورة خاصة.

يؤيد كل هذا ما نشرته جريدة «الكوميونست» التي تصدر في خاركوف، في أعقاب انتصار الثورة الشيوعية في روسيا مباشرة.. لقد جاء فيها: «يمكننا أن نقول، بلا مغالاة، أن اليهود هم الذين اخرجوا إلى حيز الوجود الثورة العالمية الكبرى في روسيا. أتظنون أن طبقات العمال والفلاحين كان يمكنها أن تتجاسر على كسر أغلال السادة الحكام؟ إن سائر التنظيمات السوفيتية في أيدي اليهود. ويمكننا أن نظل مطمئنين، طالما أن بيد رفيقنا تروتسكي القيادة العليا للجيوش الحمراء. صحيح لا يوجد يهودي واحد بين الجنود، إلا أن اليهود يسيطرون على الجيش سيطرة تامة، ويقودون طبقات العمال الروسية. وهذه القيادة

هي التي مكنت اليهود من أن ينالوا أكثرية الأصوات في التنظيمات السوفيتية » .

ومن خطاب لزينـوڤيف ، بتـاريـخ ١٧ يـوليـو سنـة ١٩١٨م، جاء: « لا بد لنا من الانتصار والفوز لقد اصبح تسعون مليونا من الروس تحت سلطة السوڤيت، أما البقية فإننا سنهلكهم » وفي اليوم التالي فسرت جريدة « الجازيت » التي كان يملكها زينوڤيف هذا في بتروغراد، خطابه ذاك بقولها: « ستقسو قلوبنا لدرجة أن تفقد كل عاطفة رحمة أولين، فلا تتأثر حين تجد دماء أعدائنا أبحرا . سنقتل أعداءنا بلا رحمة، وسنغرقهم في دمائهم .

فليس غريبا إذن، اتجاه هذا الإجرام الحاقد الدفين، أن يصدر ديوان السوڤيت في كييف، بتاريخ ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٠م، أمرا عسكريا إلى الجنود، جاء فيه: « القرى التي تبدي تظاهرات ضـد اليهـود، تهدم بكـاملهـا ، والأفـراد المذنبون يقتلون بالرصاص، بلا محاكمة . وبما أن الشعب اليهودي يبدي غيرة شديدة في سبيل المصلحة الشيوعية، فعلينا إذن أن نعضد هذا الشعب، بجميع الوسائل لقد امتدح أحد الصحفيين اليهود مـذابـح الشيـوعيين للشعـب الروسي، بعد قيام الثورة البلشفية بقوله: « وما ذلك إلا مفخرة للأمة اليهودية التي سيؤدي انتصارها في النهاية إلى استلام زمام الحكم في العالم كله، وسن شرائعه » .

أما لجنة خاركوف فقد كان مفوضوها يرتكبون أبشع أنواع الجرائم، وهم في أشد حالات السكر والعربدة... لقد كانوا يلقون على ضحاياهم مثل هذه الأسئلة: هل أهنت مرة يهودياً بسبب يهوديته؟ لقد كان هؤلاء يقلعون عيون ضحاياهم بملاعق، ويغرسون مسامير محماة في رؤوسهم، ويسلخون جلودهم ويعممون بها رؤوسهم.. وكانوا يعملون من أمعاء ضحاياهم أوتارا لآلاتهم الموسيقية، وما إلى ذلك.. فما أصدق المؤرخ الروماني ديون كاشيوسي حين قال: «ثار اليهود في القيروان، فذبحوا اليونان والرومان هناك، وأكلوا لحومهم، وسلخوا جلودهم، وتمطقوا بأحشائهم، ودهنوا أجسامهم بدمائهم، ونشروا بالمناشير ضحاياهم من الرأس حتى القدمين، ورموا بعضهم لوحوش الفلا، وقتلوا بعضهم بالسيوف، ومثلوا بجثث القتلى».

لقد كان اليهود يطلبون من الروس أن يحفروا حفرا طويلة، يجعلون منها قبورا لهم، بعد أن يعدموهم بالرصاص جماعيا، ومع هذا فإنهم كانوا يبقون على حياة الجرحى منهم، إمعانا في التشفي والتعذيب. أما عن رجال الدين فحدث ولا حرج.

ولم يكتف اليهود بالتنكيل بالشعب الروسي، وإنما حاولوا مد إجرامهم إلى خارج روسيا.. فقد وجد نداء سري، موجه إلى قطاعات الاتحاد اليهودي الدولي، بين

أوراق قائد فرقة شيوعية، قتل في جبهة القتال في بولونيا، هذا نصه: «أيها الجنود، لقد قربت ساعة انتصارنا التام، ونحن الآن في عشية استلام قيادة العالم. لقد استولينا على الحكم في روسيا، غير أنه يجب ألا ننسى أن الروس، وإن خضعوا لشريعتنا، مازالوا أعداءنا. لقد كانوا بالأمس اسيادنا، فأصبحوا اليوم عبيدنا. إنزعوا من قلوبكم كل ذرة من الإشفاق على أعدائنا. إفصلوا عنهم زعماءهم، وأوجدوا البغض بين طبقات العمال وبقية الشعب. أذيعوا دائماً، وفي كل مكان، سياسة اليهود الدولية، وحاربوا في سبيل غايتنا القصوى».

وبعد موت ستالين عاد اليهود يحتلون مراكز حساسة في الحزب والدولة، حتى جاء خروشوف، فحاول إضعاف قبضتهم، فقيد هجرتهم إلى فلسطين، فقامت لذلك قيامتهم، ولم تقعد إلا بعد أن نحوه عن جميع مناصبه في الحكومة والحزب، بتهم مزورة. لقد كان لليهود، في مستهل حكم خروشوف ١٤,٧٪ من مجموع عدد الاطباء و ١٤٪ من مجموع عدد الكتاب و ٦٣٪ من مجموع الفنانين و ٢٣٪ من مجموع المؤلفين الموسيقيين.... مع أن عددهم في روسيا يكاد لا يتجاوز ١,٥٪ من مجموع عدد السكان.

لقد اعتصر اليهود عصر لينين، حتى آخر قطرة فيه،

(٢٢) لماذا اكره اسرائيل امين سامي الغمراوي، ص ٢٢٤- ٢٣٠

لصالحهم، فوضعوا بذلك الاساس المتين لتغلغلهم في روسيا والمعسكر الشرقي بصورة خاصة، وفي جميع الحركات اليسارية في العالم بصورة عامة.. لقد اصدر لينين قرارا صارما بتحريم عداء اليهود، ولينين هو القائل: «الجهلة والمتخلفون هم الذين يصدقون الاكاذيب المنتشرة ضد اليهود. وهو الذي وعد اليهود، سنة ١٩١٧م، على العمل لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين. وبهذا تحقق لليهود وعدان في عام واحد: وعد بلفور بتأثير الحركة الصهيونية العالمية، ووعد لينين بتأثير الحركة الشيوعية العالمية[٢٣] ولينين هو الذي أمر بعقد مؤتمر شيوعي في موسكو، تحدد فيه اتجاه السياسة السوفيتية المؤيدة لليهود، بخصوص القضايا المتعلقة بالعرب والمسلمين. لقد صاغ رادك نداء المؤتمر. وتولى زينوفيف رئاسته، ووقعه عن هنغاريا بيلاكون، وعن فرنسا روزمار، وعن أمريكا ريد، وعن روسيا رادك، وعن النمسا شتاين هارد، وعن هولندا جانسين، وعن البلقان شابلين، وكل هؤلاء من اليهود الصرحاء. وكان في هذا النداء حديث مبكر عن البترول. ولخص مولوتوف بعد ذلك، سياسة المؤتمر بقوله: «لا يتسنى للشيوعية أن تنتشر في الشرق، إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة في الحجاز».

(٢٣) اكدت مجلة فرنسا القديمة في عددها ١١٥ الصادر عام ١٩١٩م ان إقامة دولة يهودية في فلسطين كان هو الغرض الاساسي من وراء تمويل الماليين اليهود للثورة الشيوعية الروسية بالدرجة الاولى.

كان انتصار الشيوعية في روسيا هو انتصار اليهود على القيصرية والارثوذكسية. لقد أطلقت الثورة يد اليهود إطلاقا كاملا، فهدمت جدران الغيتو، وأتاحت الفرصة للثقافة اليهودية لأن تزدهر وتنتشر، كما سمحتْ للغة اليدين، لغة يهود شرق أوروبا، لأن تنمو وتتطور. وجعلت اليهود في قمة السلطة في الحكومة والحزب معا.

هذا، واستطاع الشيوعيون اليهود أن يكون لهم شأن في التسلل إلى قمة السلطة في دول أوروبا الشرقية... فالحزب الديمقراطي الاشتراكي في المانيا، بقيادة روز الوكمسبورغ أنزل الامبراطور غليوم الثاني عن العرش، وأعلن حكومة اشتراكية. وفي المجر اغتصب بيلاكون السلطة، وأقام حكما دكتاتوريا فيها. وفي رومانيا عملت آنا بوكر ما عمله بيلا كون في المجر. وفي تشيكوسلوفاكيا استطاع سلانسكي أن يفرض دكتاتورية حمراء أيضا. وكل هؤلاء من اليهود الصرحاء وليهود تشيكوسلوفاكيا هؤلاء يد طولى في تسليح اسرائيل في جميع حروبها مع العرب.. وكانوا يزودونها، أولا بأول، بصفقات السلاح التي كان يقدمها الاتحاد السوفيتي للدول العربية المتعاونة معه، وبخاصة مصر، عبر تشيكوسلوفاكيا، كما كانوا يزدونها بمواقع القوات العربية، ومدى استيعابهم لهذه الاسلحة[٢٤].

---

(٢٤) العلاقات الشيوعية الصهيونية، نهاد الغادري، ص ١٤١

٦ ـ الشيوعية والصهيونية توأمان:

الشيوعية والصهيونية شقيقتان توأمان لأم يهودية واحدة.. فالشيوعية هي موقف اليهود من الآخرين بصراع الطبقات، وهي بالأممية تكسر نطاق الغيتو المفروض على اليهود، إجباريا من الأغيار، واختياريا من أنفسهم. أما الصهيونية فإنها موقف اليهود من أنفسهم، وهي بالخرافات التوراتية والتلمودية تجمع اليهود في غيتو كبير، دولة اسرائيل في فلسطين.

وليست الشيوعية والصهيونية حركتين منفصلتين، أو متعارضتين، كما يزعم اليهود: الأولى حركة البروليتاريا، والثانية حركة الرأسماليين، وإنما هما شقيقتان منسجمتان حقيقة، بدليل أن الشيوعية رعت الصهيونية، منذ أن ولدت فأعطى لينين لليهود وعده وأيد غروميكو التقسيم، واعترفت روسيا بقيام اسرائيل لحظة قيامها وما زال شيوعيو العالم، على المستويين الرسمي والحزبي، وفي جملتهم الشيوعيون العرب، يطالبون بالاعتراف بها، وعقد الصلح معها، بالرغم من اغتصابها للأرض، وعمالتها للغرب، وحروبها وجرائمها التي تنزلها بالعرب.. وما يزال الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية الدائرة في فلكه تمد اسرائيل بالسلاح والمهاجرين، وبالتأييد المادي والمعنوي، على الرغم من تظاهرهم بمعاداتها وشجب مخططاتهم.. فمن يقدم لها المهاجرين الذين يتحولون

إلى محاربين شرسين حال وصولهم؟

الصهيونية نشأت، عنصريا وجغرافيا وفكريا، في نفس المكان والزمان الذي نشأت فيه الشيوعية، مع تقسيم الأدوار، لذر الرماد في عيون الأغيار. لقد خطط لهذه وخطط لتلك دهاقنة رجال الفكر والمال اليهود، لقيام دولة اسرائيل بالدرجة الأولى، لاستخدامها جسرا يعبرون منه إلى استغلال العالم، والتحكم بمصيره ومقدراته. ألم يصب بارونات المال اليهود في امريكا واوروبا، الذهب صبا في أفواه لينين وتروتسكي ورفاقهما؟ فهل بارونات المال هؤلاء من البروليتاريا، حتى يقيموا للبروليتاريا دولة من اقوى الدول، إن لم تكن أقواها؟ ويتساءل كثير من الناس مستغربين: كيف ساعد كبار الرأسماليين اليهود حركة ناصرت البروليتاريا، أعداء الرأسمالية والرأسماليين؟ والجواب على ذلك يكمن في اسلوب اليهود في العمل، ونظرتهم الخاصة إلى الأمور.. إن كل الثورات التي خطط لها وقادها اليهود، سرا أو علنا، لم تكن توجه إلى أرواح اليهود وممتلكاتهم وأموالهم، وإنما كانت توجه إلى أرواح وممتلكات الاغيار، وأن اليهود ما كانوا يتعرضون للقتل والسبي والنهب إلا حينما كان يخطط لها ويقودها غيرهم، أو حينما كانت الأمور تخرج بالرغم عنهم من أيديهم فالثورة الفرنسية مثلا دمرت باريس تدميرا شبه كامل، حرقا ونهبا

وتحطيما، إلا بيوت آل روتشيلد الخمسمائة، فإن واحدة منها لم تصب بسوء، حتى ولو بكسر لوح من الزجاج. والثورة الروسية الحمراء سالت فيها الدماء أنهرا، إلا دماء أبناء يهوذا، فقد بقيت تجري في عروقهم، لم تنزف قطرة واحدة منها.. لماذا؟ لأن زعماء الثورة وقادتها في كلتا الثورتين كانوا بأغلبيتهم من اليهود، وكان الباقون من انصارهم وعملائهم، فسارت الأمور لذلك ضمن الخطة المرسومة حتى نهايتها.

ولو تتبعنا الأحداث في كل من أمريكا وروسيا مثلا، لوجدنا شيوعيين في أمريكا يعملون لصالح روسيا، ومنشقين في روسيا يعملون لصالح أمريكا، وهؤلاء وأولئك بغالبيتهم العظمى من اليهود، والباقون من عملائهم ومن المخدوعين بهم. فهل شيوعيو امريكا صادقو الوفاء لروسيا، وهل منشقو روسيا صادقو الوفاء لأمريكا؟

لا... هؤلاء وأولئك صادقو الوفاء ليهوديتهم، لتوراتهم وتلمودهم.. ولدولة اسرائيل.. وإلا فلو كان لليهود قضية هنا، وقضية هناك، لقلنا اختلفت الطرق، فاختلف لذلك المشاة.. ولكن طريق اليهودي، في كل زمان ومكان، طريق واحدة، هي طريق خدمة أغراضه هو ومخططاته هو، التي يرسمها له حاخاماته وزعماؤه، أيا كان موقعه في العالم، ومهما جر على البلد الذي يعيش فيه من ويلات ومصائب.. ففضيحة أميريجيا التي اكتشفت سنة ١٩٤٥م، كان ابطالها

ثلاثة من اليهود، سلموا روسيا ١٧٠٠ وثيقة من الوثائق السرية الخطيرة، الخاصة بوزارة الدفاع الامريكي، وفضيحة جوديت كوبلن، التي اكتشفت سنة ١٩٤٩م، كانت بطلتها جوديت كوبلن اليهودية، حيث ألقي القبض عليها وهي تسلم وثائق سرية خطيرة خاصة بوزارة العدل الامريكية لجاسوس روسي، كان متسترا بوظيفة بسيطة في هيئة الأمم المتحدة. أما فضيحة جيرهارت كسلر، فقد اتضح بعد التحقيق، أن كسلر هذا كان زعيم الحزب الشيوعي الأمريكي، وأن أخته روث كانت تساعده في عملياته التجسسية. لقد تستر كسلر باسماء كثيرة مستعارة، وكان يكثر من التردد على روسيا بقصد الزيارة، إلا أنه كان يتجسس على أمريكا لصالحها. لقد هرب كسلر من أمريكا عند افتضاح امره، ولجأ إلى المانيا الشرقية وتولى منصب مدير الدعاية فيها. أما فضيحة هوليود، التي اكتشفت سنة ١٩٥٠م، فقد اتضح منها أن تسعة من المتهمين كانوا يهودا، وأن ستة من هؤلاء كانوا شيوعيين. لقد كانت تهمة هؤلاء كتابة السيناريو للافلام والمسلسلات التلفزيونية، بحيث تخسر الدعاية الشيوعية في كل ما تنتجه هوليود من افلام ومسلسلات. وأما فضيحة فوخس الذرية فقد اتضح فيها أن كلاوس فوخس كان يهوديا المانيا، وأنه قد نقل لروسيا اسرارا ذرية على جانب عظيم من الخطورة والأهمية. لقد ألقت بريطانيا القبض على فوخس، سنة ١٩٤٩م، فاتضح من

التحقيق، أنه دخل بريطانيا في مستهل الحرب العالمية الثانية، فألقت السلطات البريطانية القبض عليه بتهمة الجاسوسية، ثم ما لبث أن أفرج عنه بعد أن توسط له العلامة انشتاين[٢٥]، ثم دخل أمريكا بعد ذلك، واستطاع أن يطلع على أخطر الأسرار الذرية، وأن ينظم شبكة تجسس سرية، اعتقلت سلطات الأمن الأمريكية تسعة من أعضائها، تبين أن ثمانية منهم من اليهود. وما كان فوخس وشبكته التجسسية بمستطيعي الوصول إلى أدق الأسرار الذرية الأمريكية لولا أن اليهود تمكنوا سنة ١٩٤٦ م، من فرض مجلس يشرف على أبحاث وإنتاج الطاقة الذرية مكون من خمسة أعضاء، رئيسه يهودي يدعى ديفد ليلينتال، وفيه عضوان يهوديان آخران، هما: شتراوس، وبينشر. وظل اليهود منذ ذلك الوقت وهم مسيطرون على هذا المجلس، بأغلبية عددية، سيطرة تامة، وعلى النشاط الأمريكي الذري، بوجه عام[٢٦].

(٢٥) افرجت الحكومة البريطانية في السابق عن ليتفنوف الذي كانت قد اسرته إبان الحرب العالمية الاولى بتهمة التجسس وكان ليتفنوف عضوا في الحركة الثورية العالمية تحت اسم ماير والاسن ثم عاد إلى اسمه الحقيقي ليتفنوف عندما انضم إلى حزب لينين البلشفي وليتفنوف اشترك مع ستالين في السطو على بنك تفليس فقبض عليه وهو يحاول تصريف ورقة من فئة الخمسمائة روبل من الأموال المنهوبة وبعد الافراج عنه عاد الى روسيا ليساعد لينين على الإطاحة بحكومة كيرنسكي وحركة مارتوف المنشفية ومنذ سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٩ كان يتولى منصب مساعد ستالين للشئون الخارجية هذا لليتفنوف شغل منصب رئيس مجلس الامن الدولي التابع لهيئة الامم المتحدة فترة طويلة وساعد طبعا على ادانة اسرائيل إدانتها فقط في اعتداءاتها المتكررة على العرب.

(٢٦) لهذا اكره اسرائيل امين سامي الغمراوي، ص ٢٠٣-٢٠٥

هذا ولو تتبعنا منابت جميع المنشقين في الاتحاد السوفيتي بصورة خاصة، وفي الدول الشيوعية بصورة عامة، لوجدناهم بغالبيتهم من أصول يهودية.. ولهذا يغدق عليهم الغرب ماشاء وشاؤوا من ألقاب تكريمية وجوائز عالمية، وعلى رأسها جائزة نوبل للسلام العالمي. ولا أدري، وأيم الحق، أي سلام يكمن في تلك القصص العادية، التي ليس فيها ما يستحق الذكر سوى التشهير بالاتحاد السوفيتي..!

إن سياسة اليهودية العالمية، المتمثلة اليوم، بصورة رئيسية في السياسة الصهيونية، تقوم على اساس إيجاد دولتين عظميين، تقود كل منهما معسكراً خلفها: الاتحاد السوفيتي وراءه دول حلف وارسو، والولايات المتحدة خلفها دول حلف شمال الاطلسي.. وذلك كي يبقى العالم كله متحفزا للحرب في مواجهة بعضه، يخزن السلاح، ويتسابق في صنعه وتطويره، واليهود يأخذون من بترول هذا يصبونه على نار ذاك، ويأخذون من بترول ذاك يصبونه على نار ذاك، كي تبقى النارات مشتعلتان، والعالم كله يعيش على حافة الهاوية، فزعا مرعوبا، يبحث عن أمنه واستقراره فلا يجدهما، على الرغم من امتلاكه أفتك أنواع الاسلحة..

لماذا؟

كي يبقى اليهود بيضته القبان، كما يقولون، يتجسسون لروسيا على أمريكا مظهرين بذلك ولاءهم وحسن نيتهم لها

ومن ثم يسحبون مندوبها لهيئة الأمم المتحدة ليبصم ويوقع وينشقون في روسيا لحساب امريكا مظهرين بذلك ولاءهم وحسن نيتهم لها ومن ثم يسحبون مندوبها لهيئة الأمم المتحدة ليبصم ويوقع وفوق هذا وذاك يتلاعبون باسعار التجارة العالمية، وعلى رأسها الذهب والسندات والأوراق المالية، فيرفعون ما خفضوه بالامس منها ويخفضون ما رفعوه قبل الأمس، وهكذا. وفي كلتا الحالتين هم الرابحون.. أليسوا هم مالكو الذهب العالمي، والمتحكمون في اسعاره؟ أليسوا هم المسيطرون على إصدار أوراق النقد المالية، والمتحكمون في قيمتها؟ لقد سيطروا على اوراق النقد المالية، من أسهم وسندات مالية في ديار الغرب خاصة منذ أن أنشأوا بنك انجلترا في عهد كرمول وسيطروا عليه ومنه سيطروا على التحكم في اصدار أوراق النقد المالية في أمريكا، منذ عهد الاستقلال حتى اليوم، وما يزالون مسيطرين وبسعر الدولار صعودا وهبوطا يتحكمون بالتجارة العالمية وبالتالي في السياسة العالمية بوجه عام وهم هم متحصنون بجدار مصارفهم او متخفون وراء زعماء من الأغيار يحركون بالمال والزعماء الاحداث العالمية كي تتجمع الرياح في شراعهم..

هكذا كانوا، منذ حملوا توراتهم وتلمودهم، وهكذا هم الآن، وهكذا سيبقون..!

فماذا نحن فاعلون؟!

الفصل الثانى

العرب والشيوعية

١ ـ الشيوعية والقضية الفلسطينية .

٢ ـ ببغاوات .

٣ ـ من فمك أدينك يا غروميكو .

٤ ـ العرب واليهود في الميزان .

٥ ـ تاريخ وتاريخ .

٦ ـ نبات غريب ، ومبادىء مستوردة .

٧ ـ صيحات وصيحات .

٨ ـ سياسة لا مبادىء .

٩ ـ نحن وروسيا .

١ ـ الشيوعيون والقضية الفلسطينية:

ليست قضية أدل على الصلة الوثيقة بين الشيوعية والصهيونية من القضية الفلسطينية، وموقف الشيوعيين في الداخل والخارج منها، فالاتحاد السوفيتي وجميع الدول والأحزاب الشيوعية الأخرى، في جميع انحاء العالم، وفي جملتهم الأحزاب الشيوعية العربية، كانوا قبيل اقرار مشروع تقسيم فلسطين، في هيئة الأمم المتحدة، ينادون بوحدتها، وقيام دولة ديمقراطية فيها، تضم جميع طوائفها. وكان الموقف الشيوعي المعلن آنذاك يتظاهر برفض التقسيم، معلناً أن ايجاد دولة يهودية فيها انما هو ايجاد موطىء قدم للاستعمار الانجلوسكسوني، على اعتبار ان الصهيونية ربيبة للاستعمار. ولكن، ما ان عرض مشروع التقسيم على هيئة الأمم المتحدة، حتى بادر الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية إلى تبنيه وتأييده، بكل قوة وعزم، ضاربين بعرض الحائط الموقف الشيوعى المعلن، معرِّضين الاحزاب الشيوعية العربية للفضيحة والخذلان امام جماهيرها، التي ما كانت لتؤيدها الا لموقفها الصحيح الصريح من القضية الفلسطينية بالدرجة الأولى. وكان العرب بوجه عام، والشيوعيون منهم بوجه خاص، يعتبرون ان الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية التي تسير في فلكه من اشد انصار الحق العربي في فلسطين فكانوا لذلك ينظرون إليه نظرة احترام وتقدير.

وصُعق العرب وهم يرون، لاول مرة، غروميكو مندوب

الاتحاد السوفييتي في هيئة الأمم المتحدة، لا يؤيد المشروع العربي القائل بانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، واعلان استقلالها، وانما أيد الاتجاه البريطاني القائل ببحث مستقبل الحكم في فلسطين.. وفغر العرب افواههم وهم يسمعون غروميكو يعلن في الجمعية العمومية: «لا يستطيع احد أن يرغم الجمعية العامة على اتخاذ قرار يؤيد مطالب العرب». تلك نغمة لم يتوقعها العرب من الاتحاد السوفييتي ولم يسمعوها قبلاً من فم شيوعي قط. وزاد غروميكو على ذلك، فأصر على وجوب مشاركة الوكالة اليهودية في مناقشات القضية الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة، بوصفها ممثلة للشعب اليهودي في جميع ارجاء العالم، الناطقة باسمهم وليس باسم يهود فلسطين فحسب. كما أصرّ على وجوب مشاركة الهيئات والأحزاب اليهودية الأخرى، بما فيهم الحزب الشيوعي طبعا، في داخل فلسطين وخارجها، بمناقشة القضية وحين طُرح اقتراح بدعوة اللجنة العربية العليا، الممثل الوحيد للشعب العربي الفلسطيني آنذاك، للمشاركة في المناقشات، اسوة بالوكالة اليهودية والأحزاب اليهودية الأخرى، مع أن اليهود كانوا اقلية بالنسبة للعرب في فلسطين، عارض غروميكو هذا الاقتراح بشدة. ولهذا كان ليهود فلسطين الدخلاء حضور في هيئة الأمم المتحدة، أثناء مناقشة القضية الفلسطينية، أما العرب أصحابها الشرعيون، فلم يكن ليسمح لهم حتى بالوقوف وراء الأبواب على الاعتاب، يسترقون السمع إلى ما يراد بهم، وبقضيتهم.

وحين ووفق على الطلب البريطاني، ورُد الطلب العربي، تألفت لجنة من أحد عشر عضوا، لم يكن يؤيد الحق العربي فيها سوى مندوبي ايران والهند، لتقديم دراسات أولية لحل المشكلة الفلسطينية، والاستماع إلى وجهات نظر المستعمرين والصهاينة، لأن العرب كانوا مبعدين نهائيا عن مجال عمل اللجنة واختصاصها. ولما حدث ذلك، سارع الرفيق غروميكو إلى توسيع صلاحيات هذه اللجنة، بحيث تقدم دراسة كاملة للقضية اليهودية، من خلال بحث قضية فلسطين. وذلك يستتبع بالضرورة دراسة أوضاع يهود أوروبا، وزيارة معسكرات اللاجئين اليهود فيها، والاستماع إلى آراء ومقترحات كل الاحزاب والمنظمات والهيئات اليهودية العالمية.

ونادى غروميكو، أول ما نادى، بحكم يتساوى فيه العرب واليهود، والا فليس الا التقسيم حلا، مع انه كان يعلم علم اليقين أن فلسطين عربية، وان العرب اكثرية فيها. وبذلك كان غروميكو أول مندوب في هيئة الأمم المتحدة تكلم عن التقسيم من على منبرها.

وبتاريخ ١٩٤٨/٣/٥، عندما أعلن مندوب الولايات المتحدة في مجلس الأمن الدولى عدول بلاده عن التقسيم، واقتراح ارجاع القضية بكاملها ثانية إلى الجمعية العمومية، لبحثها من جديد، وانه يقترح وصاية دولية مؤقتة عليها للحفاظ على وحدتها الجغرافية، وأيده في ذلك مندوبا الصين وفرنسا. غضب

غروميكو، واتهم الولايات المتحدة بخيانة اليهود، والقضية اليهودية، في سبيل البترول العربي، وأعلن انه كان على مندوب الولايات المتحدة الامريكية أن يطلب من مجلس الأمن (انسحاب العصابات العربية)، لا إرجاع القضية بكاملها ثانية إلى الجمعية العمومية. وحين أحيلت القضية إلى الجمعية العمومية، أصر غروميكو فيها على التقسيم، ودعا إلى انسحاب العصابات العربية من فلسطين، وانزال العقوبات الرادعة (بالغزاة العرب).

وبكى غروميكو، وتباكى مستدرا عطف الاعضاء على ما أصاب يهود العالم من كوارث وويلات، قائلا: «من الشناعة ان نترك (الامة اليهودية)، وهي التي نزلت بها فواجع النازية، تحت رحمة عنصرية أخرى، أو أن نسخِّر مصائب هذه الأمة العظيمة لمصالح البترول واصحابه العرب».

وحين اقترحت امريكا على بريطانيا ان تؤخر موعد انسحابها من فلسطين، المقرر في ١٥/٥/١٩٤٨، رفضت بريطانيا، وساندتها في ذلك روسيا والدول الشيوعية بشدة.

وفي صباح يوم ١٥/٥/١٩٤٨، يوم اعلان قيام دولة اسرائيل، اعترفت امريكا بالدولة اليهودية اعترافا مؤقتا، لأن الجمعية العمومية كانت لا تزال تبحث المشروع الامريكي القاضي بإلغاء التقسيم، وصون وحدة فلسطين، ووضعها مؤقتا تحت وصاية دولية، ريثما تستقر الأمور، إلا أن الاتحاد

السوفييتي بادر إلى الاعتراف بدولة اسرائيل اعترافا قانونيا كاملا . وصرخ غروميكو، وهو ينقل اعتراف بلاده بالدولة الجديدة، في هيئة الأمم المتحدة، بقوله: « لقد أيدنا خلق الدولة اليهودية، فنحن نصر على الاعتراف الكامل بها، وحمل الأمم المتحدة على تنفيذ ذلك، وجعل هذه الدولة حقيقة ثابتة » .

نحن في عرضنا السريع هذا، لا نحاول ان ندين روسيا ونبرىء امريكا، وحاشا لله ان نفعل ذلك. . فمشكلة فلسطين اشتركت فيها عدة اطراف، كانت امريكا على رأسها . ولا يمكن لامريكا، لا سابقا ولا لاحقا، ان تناصر الحق العربي في فلسطين، فلليهود فيها التاج والصولجان. قد تكون مواقف المندوب الامريكي في هيئة الأمم المتحدة مناورة لتعرية المندوب السوفييتي، وكشف اوراق روسيا . وقد تكون لعبة لدعم مواقف الدول العربية التي كانت آنذاك تسير في الفلك الامريكي وقد تكون عندها مخططات اخرى لم تكشف النقاب عنها انذاك. . إلا أن موقف الاتحاد السوفييتي كان صريحا واضحا، في مناصرة باطل اليهود، ومعاداة حق العرب. . فنادى بالتقسيم، وبقيام اسرائيل، والاعتراف الكامل بها، وتأديب العصابات العربية، وطرد الغزاة العرب .

هذا واخذت جميع الدول الاشتراكية، بلا استثناء، تزود اسرائيل بالسلاح والمتطوعين، منذ بداية اليوم الأول من اعلان قيامها، وما زالت تؤيدها قلبا وقالبا، حتى يومنا هذا، بالرجال

والتأييد المعنوي، بالدرجة الأولى.

وحين وضع برنادوت مشروعه الخاص به، وهو دون الحق العربي بكثير، عارضه الشيوعيون والصهاينة، واتهموه بانه عميل للاستعمار والرجعية العربية، وحين دعا برنادوت الأمم المتحدة إلى الاهتمام باللاجئين العرب، رد عليه غروميكو بقوله: «ان مسئولية طرد العرب من اراضيهم تقع على عاتق الرجعية العربية التي بدأت القتال، وليس على اليهود الذين اذعنوا لقرارات هيئة الأمم المتحدة، ومارسوا حقهم باقامة دولة خاصة بهم، هي من حقهم. ودفع برنادوت حياته، أمام فندق الملك داود بالقدس، ثمنا لصراحته ودفاعه عن الحق. وكان كلما أُثير موضوع اللاجئين العرب في هيئة الأمم المتحدة. أثار المندوب السوفييتي موضوع اللاجئين اليهود في معسكرات اوروبا، ووجوب افساح المجال لهم للهجرة إلى موطنهم فلسطين. أما اللاجئون العرب فان «الحل الوحيد لمشكلتهم ليس في تقديم المعونة العاجلة لهم، بل في توطينهم، حيث هم، في البلاد العربية التي تسببت في نكبتهم». أفي ذلك شك بأن الصهيونية والشيوعية توأما سفاح من رحم الغانية استير؟

لقد افقد تصرف مندوب الاتحاد السوفييتي في هيئة الأمم المتحدة فارسا الخورى، مندوب سوريا فيها، صوابه، فصرخ قائلا: «ان موقف الاتحاد السوفييتي مخيف حقا.. فموسكو لا تريد العدل، ولا السلام، ولا مبادىء الأمم المتحدة. ان كل ما

تريده روسيا هو استعمار جديد . يُزْرَعُ في قلب الوطن العربي ، ولذلك فلا تثريب علينا اذا نحن كفرنا بكل شيء . . بالشرق والغرب معا » .

وانتهت خيوط المؤامرة في هيئة الأمم المتحدة في ١٩٤٩/٣/٣ ، بانتساب اسرائيل عضوا كامل العضوية في هيئة الأمم المتحدة . اما خيوطها فينا فلا زالت تُنسج شباكا ، من غفلتنا ، وتفرقنا ، وتخاذلنا عن حقنا ، وخبث اليهود ودهائهم . .

٢ ـ ببغاوات:

وحين ظهر موقف الاتحاد السوفييتي ، بخصوص القضية الفلسطينية ، على حقيقته في هيئة الأمم المتحدة ، على لسان مندوبه ، شجبته الجماهير العربية بشدة ، واستنكرته . أما الشيوعيون العرب فكانوا أشبه بالببغاوات ، يرددون ما كان يصرح به مندوب الاتحاد السوفييتي ، وكأنهم رجع لصوته ، ويتعللون بعلل واهية ماكانت الجماهير العربية لتقتنع بها . . ولهذا تعرضوا للضرب والإهانة من مواطنيهم ، بسبب مواقفهم الخيانية تلك . وقسم ضئيل منهم هاله الأمر ، وشعر بان الاتحاد السوفييتي قد خذلهم ، وخذل قضيتهم فانسحبوا من الحزب غير مترددين ولا نادمين ، وانضموا إلى بني قومهم يدافعون عن حقهم ، ويشجبون معهم موقف الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية التي تدور في فلكه . ومن الغريب أن الشيوعيين

العرب، وبخاصة الفلسطينيين منهم، كانوا يصفون حرب ١٩٤٧-١٩٤٨ بأنها «حرب استعمارية قذرة، تحالف فيها الاستعمار مع الرجعية العربية لضرب الجماهير الكادحة العربية واليهودية». ولذلك فانهم امتنعوا عن حمل السلاح، والدفاع حتى عن بيوتهم واعراضهم، بينما كان الشيوعيون اليهود يحملون السلاح، ويطاردونهم فيمن طاردوا من العرب العزل.. ومنهم من مات برصاص اليهود، وهو جامد لا يبدي حراكاً.

وحين تجلس إلى أحد هذه الببغاوات تسمع ما يردد، تستفظع ما تسمع، انهم يزعمون أحياناً ان مندوبي الدول العربية لهيئة الأمم المتحدة ما كانوا يقيمون وزنا لمندوب الاتحاد السوفييتي، لدرجة أنهم كانوا يمرون به، فيتجاهلونه ولا يحيونه. ويزعمون أحيانا ان الاتحاد السوفييتي فعل ما فعل في سبيل استقلال فلسطين، وحتى يقطع الطريق على ألاعيب انجلترا التي لم تكن جادة في انهاء انتدابها عليها، والخروج منها. ويزعمون احيانا أخرى أن «نصير الشعوب» أراد بذلك مساعدة الشعب اليهودي المظلوم المضطهد، لإيجاد مأوى له، يتخلص فيه من ظلمه واضطهاده. ويزعمون كذلك ان الاتحاد السوفييتي أراد بذلك تسخين المنطقة حتى تتحرر وتتطور.. تتحرر من الاستعمار والرجعية العربية، وتتطور مدنيا وحضاريا. ويزعمون، ويزعمون..!

ولو جلسنا إلى هؤلاء نناقشهم في مزاعمهم، لنعطل عندهم

كل منطق، وتوقف كل عقل، ولدخلوا بنا وبانفسهم في متاهات لا أول لها ولا آخر. ولهذا فنحن لن نناقشهم، وانما سنطرح عليهم بعض الأسئلة والتساؤلات ليجيبوا عليها، اذا كان ما يزال فيهم بقية من عقل، أو شيء من منطق، يعالجون بها قضايا امتهم المصيرية.. فاستمعوا إلينا يا هؤلاء، وحاولوا أن تشحذوا عقولكم وتستحضروا منطقكم، وتجيبوا بصراحة وصدق، ولو مرة واحدة في حياتكم؟

هل سياسة «قلعة الاشتراكية، ونصير الشعوب والكادحين، وموئل الحرية..» تنبع من نصرة الحق وأهله، أم من المجالات الدبلوماسية في المحافل الدولية؟ فلسطين للعرب، واليهود فيها دخلاء مستعمرون، واستعمارهم استيطاني، افظع من استعمار الانجليز لفلسطين، واستعمار فرنسا للجزائر.. فلماذا ناديتم بجلاء الانجليز، والفرنسيين. ولم تنادوا بجلاء اليهود؟ هل لأن اليهود مواطنون في فلسطين، كما تزعمون؟ من اعطاهم هذه المواطنة، غير حراب الاستعمار؟ ألم يكن الفرنسيون مواطنين في الجزائر، يمتلكون الأرض والبيت والمصنع؟ فلماذا لم تقسّم الجزائر، ولم تقم فيها دولة دخيلة للفرنسيين؟ وهل يسمح الاتحاد السوفييتي، لاي جماعة في العالم، أن تقيم على أرضه، ولو في سيبريا، دولة مستقلة تناصبه العداء؟ ثم اليست الصهيونية هي ربيبة الاستعمار، كما كنتم ترددون قبل التقسيم وقبل قيام اسرائيل؟ فكيف اصبحت ربيبة الاستعمار هذه شعبا مضطهدا

مظلوما ؟ وهل لو سلمنا معكم جدلا بأن اليهود شعب مضطهد مظلوم، فهل نحن الذين اضطهدناه وظلمناه، حتى ندفع ثمن ظلمه واضطهاده؟ شعب يقتل وآخر يدفع الدية! ثم ما قصة اخراج الانجليز وطردهم، ونصرة الشعب المظلوم المضطهد، وتسخين المنطقة ..؟ اجيبوا .. هل جلب الانجليز اليهود إلى فلسطين، وحموهم، وساعدوهم في كل ما ساعدوهم به كي يطردوهم؟ ثم، من ذا الذي حدد خروج الانجليز من فلسطين، بتاريخ ١٥/٥/١٩٤٨، أهم الانجليز، أم الاتحاد السوفييتي ؟ ومن ذا الذي رفض تمديد الانتداب، حين طلبت امريكا من الانجليز تمديده فترة، أهم الانجليز، أم الاتحاد السوفييتي؟ الانجليز حين اصرّوا على الخروج وعدم التمديد، كان ذلك بخطة استعمارية صهيونية، وليس بمهارة روسية، أحرجتهم فأخرجتهم، وقطعت الطريق على ألاعيبهم، كما تزعمون.

لماذا رفض مندوب الاتحاد السوفييتي المشروع العربي القاضي باستقلال فلسطين، وقيام حكومة ديمقراطية تمثل كل سكانها تمثيلا عدديا صحيحا ؟ اليس هذا هو الحل الديمقراطي الصحيح، أم أن الاتحاد السوفييتي يريد بقيام اسرائيل أن تقيم له جسرا أحمر في بلادنا، تعبر عليه طلائعه فينا، ليسخن المنطقة شيوعيا، لا حضاريا ؟

ثم ما هي هذه الروابط التاريخية والحقوق الأزلية لليهود في فلسطين، التي تحدث عنها الرفيق غروميكو؟ انصحوا أيها

الرفاق اتحادكم السوفييتي ان يقرأ التاريخ، واقرأوه معه.. فهذه أرض كنعان، باعتراف اليهود وتوراة اليهود. اليس هذا الزعم زعم موشي هيس في كتابه (روما والقدس)، وزعم ثيودور هيرتزل في كتابه (الدولة اليهودية)، وزعم لويس برانديس في كتابه (الصهيونية في امريكا)، وزعم الحاخام موريس جوزيف في كتابه (اسرائيل قومية)، وزعم ارثرلويس في كتابه (اليهود امة)..؟

ما هي القومية اليهودية التي تحدث عنها الرفيق جُروميكو اننا نحيله إلى زعيمه الرفيق ستالين، ليحدثه حديث القومية كما حددها بقوله: «الامة جماعة ثابتة من الناس، مؤلفة تاريخيا، لها لغة مشتركة، وأرض محددة مشتركة، وحياة اقتصادية مشتركة، وتكوين نفس مشترك، يعبِّر عن نفسه في الثقافة المشتركة..» وشذاذ الافاق الذين وفدوا إلى فلسطين من جميع اقطار العالم المختلفو السحن واللغات والتاريخ والعادات.. هل هؤلاء يشكلون امة؟ ان الرباط الوحيد الذي يشد اليهود إلى بعضهم إنما هو سخافات دينية، تلهب عواطفهم ولا تلامس عقولهم، وخوفهم من العرب، ولو على المدى البعيد. لقد نزل بمصر، عام ١٩١٥؛ يهود، فراراً من الاتراك، وكان هؤلاء يتكلمون ١٤ لغة، مع ان عددهم كان يتجاوز ١٦٠٠ نسمة. اليهودية دين وليست قومية.. ولهذا كان حكام اليهود وملوكهم من كهنتهم

وأنبيائهم[1] .

زعم الاتحاد السوفييتي أن الرجعية العربية قاومت التقسيم لمحاربة حركة التحرر الوطني اليهودي ، وأن الصهيونية كما يحلو له أن ينعتها دائما . فكيف يجوز له ان يدعى اليوم عكس ذلك .؟ كيف يجوز له اليوم ان يقول أن الرجعية العربية قد تعاونت مع اسرائيل ، لضرب حركتي التحرر العربي واليهودي معا ، وعدم السماح لهما بالتفاوض ، والصلح ، والتعايش السلمى ؟

اسمعوا أيها الرفاق شيئا مما قاله فارس الخوري ، وهو

(١) العرب واليهود في التاريخ ، د . أحمد سوسة : ص ٣٣٩

لقد كتب الحاخام سيجال ، عام ١٩٠٢ ، ما نصه : « لم يكن هناك وجود قط لما يسمى بالشعب اليهودي ، لأن اليهود لم يهتموا يوماً بالأرض واللغة والتاريخ ، ولا بالتنظيم السياسي ، أو غير ذلك » وصرح س . ج مونتفيدري : « لقد اعترضنا على عبارة الوطن القومي للشعب اليهودي ، حين عُرضت علينا ، لأننا انكرنا أن يكون اليهود شعباً ، ولم نشأ أن يعودوا شعباً مرة أخرى . لقد طالبت بان يكون اليهود أحراراً يعيشون حيث هم . لقد خشينا أن ينشأ عن الوطن القومي المقترح شعور معادٍ للسامية ، أبعد بكثير مما يمكن علاجه ، غير أن آراءنا لم تجد آذاناً صاغية . وكل الذي استطعنا أن نفعله هو أن (ال) التعريف حذفت من القرار ، فصارت العبارة وطناً قومياً ، وليس الوطن القومي » .

دهاقنة اليهود وزعماؤهم يعترفون صراحة بانهم لا يشكلون شعباً أو امة ، إلا أن السيد غروميكو والرفاق الشيوعيين يرفضون ذلك ، ويصرون على الزعم بان اليهود شعب من أرقى الشعوب ، وأمة من أعرق الأمم .

ما رأي الرفاق الشيوعيين فيما صرح به الدكتور جوروفيتش ، استاذ علم الأجناس بالجامعة العبرية بقوله : « اليهود ليسوا شعباً واحداً ، بل أنهم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة . وان نسبة ضئيلة جداً من يهود البلاد العربية هم من نسل اسرائيل (يعقوب) ان يهود اوروبا الشرقية كلهم لا ينتمون اطلاقاً إلى نسل اسرائيل » .

ونرجو ألا يغيب عن بال الرفاق أن الدكتور جوروفيتش من يهود اوروبا الشرقية الذين : اشتثناهم من الانتماء إلى اسرائيل .

يرصد أقوال جروميكو في أروقة هيئة الأمم المتحدة: « نحن لا نفهم لماذا يعارض الاتحاد السوفييتي صراعنا مع الاستعمار الصهيوني، وهو احتلال اجنبي أيضا. ويؤسفنا أن نصرح بأنه يحاول الآن ان يمنح الصهاينة حقوقا ليست لهم. ومن حقنا نحن ان نشك في اخلاصه للمبادىء أو للعرب.. ويبدو أن للاتحاد السوفييتي مآرب أخرى غير العطف على العرب، ومكافحة الاستعمار الاجنبي في بلادنا.. »

أسمعتم أيها الرفاق: لقد قرر هذا الفارس العربي أن الاستعمار الصهيوني انما هو احتلال أجنبي، وقال أن للاتحاد السوفييتي مآرب أخرى في بلادنا، غير المآرب التي أعلنها واحتج بها. فهل سألتم أنفسكم عن هذه المآرب؟ أما نحن فقد سألنا وأجبنا.. أجبنا بان الاتحاد السوفييتي يريد ان يغرق هذه المنطقة بسيل من المهاجرين الجدد، ليزيد النار اشتعالا، وليُلقي بها في اتون حروب وثورات مدمرة، تمهيدا لاضعافها، ولاعطائه الحق للتدخل في شئونها الداخلية، بصفته احدى الدول الكبرى في العالم، ومن ثم الوصول إلى هدفين رئيسيين: احرار المنطقة، والوصول إلى المياه الدافئة، ذاك الحلم الذي ظل يراوده قرونا. هذا بالاضافة إلى أن الشيوعية والصهيونية توأمان تشربان من حوض واحد، وتجران عربة واحدة. والا فكيف تطابقت كلمات غروميكو مع كلمات مندوب الصهاينة في هيئة الأمم المتحدة؟ ولماذا معظم المهاجرين إلى فلسطين يفدون من الاتحاد

السوفييتي والدول الشيوعية الشرقية، بالدرجة الأولى؟

أيها الرفاق، اذا كنتم مازلتم في شك مما نقول، فتعالوا معنا إلى هيئة الأمم المتحدة، نستمع معكم إلى رفيقكم غروميكو، ولكن نرجوا ان تنظفـوا آذانكـم، وان تـرهفـوا اسماعكـم، فصاحبكم يتكلم بصوت خافت. صوت الواثق المطمئن إلى مزاعمه وترهاته، وبخاصة بعد ان اطمأن بالا بالتقسيم، وقيام دولة اسرائيل.

٣ ـ من فمك أدينك[٢]:

★ استمعوا إليه وهو يخطب، بتاريخ ١٩٤٧/٥/٢ أمام اللجنة التوجيهية: «ان قضية فلسطين هي قضية اليهود، ليس يهود فلسطين فحسب، بل وكل يهود العالم في كل مكان. لقد عارض بعضهم ـ يقصد الدول العربية والإسلامية ـ رغبتنا في دعوة ممثلين عن الهيئات اليهودية للمشاركة في اعمال الامم المتحدة، مستندين إلى القول بأن مثل هذه الدعوة تخالف ميثاق الأمم المتحدة، مع أن هذا الميثاق لا يحول دون ذلك. ليس مهما ان يوجد مثل هذا النص في الميثاق، مادامت طبيعة المسألة الفلسطينية تفرض علينا ان نعطي اليهود دورا أصيلا في أعمال الأمم المتحدة. فلنخلق اسبقية لاعمال الأمم المتحدة في الميثاق، بما يجيز ذلك..: فهذا يمنحنا سمعة طيبة. وبما أن الوكالة اليهودية هي الممثل الصحيح للشعب اليهودي في فلسطين، لذلك

(٢) العلاقات الشيوعية الصهيونية، نهاد الغادوي، ص ١٠١ـ١٣٦.

يجب أن تعطى الفرصة في بحث ومناقشة قضيتها . واذا كانت هناك هيئات يهودية اخرى تود المشاركة ، فسننظر في طلبها بعين الاهتمام . وآمل ان يُعتبر كلامي هذا تأنيباً للدول العربية التي تحاول ان تحصر لنفسها بحث المشكلة الفلسطينية ، بدون ان تراعي شعور اليهود . ان قضية فلسطين تهم كل اليهود ، وتزعجنا نحن السوفييت ايضا ، كلما ارتفع صياح العرب » .

★ واستمعوا إليه أيضا وهو يصرح ، أمام اللجنة السياسية ، بتاريخ ١٩٤٧/٥/١٤ « ان الاغلبية العظمى من الشعب اليهودي في العالم مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية فلسطين ، ومستقبل الحكم فيها . فقد أصاب الأمة اليهودية نكبات وآلام يستعصى على اللسان وصفها . ونحن هنا نسأل الأمم المتحدة ، باسم الشعب اليهودي المشرد ، بان تراعي آماله ، فتقر له وطنا وحقوقا . وانه لمن المنكر ان نمنع عن الامة اليهودية هذا الحق » .

★ واسمعوا تسارا بكين ماذا قال أمام اللجنة السياسية بتاريخ ٤٧/١٠/١٣ : « ليست الحجج القانونية والتاريخية التي يقدمها العرب ذات شأن . يكفي أن نعرف أن اليهود قد عانوا الاضطهاد . وأن في مقدمة مسؤولياتنا أن نضمن لهم وطنا خاصاً بهم . ومن الظلم ألا نساعدهم في ذلك . من حق اليهود الشرعي أن يفرضوا سيادتهم على فلسطين ، لئلا يكونوا تحت رحمة العرب . ان الاتحاد السوفيتي يدعو ويؤيد ويعمل من أجل اقامة هذه الدولة ، وضمن مستقبلها وفي فترة

الانتقال سنساعد ، بكل الوسائل على تحقيق ذلك »

★ واسمعوا ما قاله غروميكو امام الجمعية العامة ، بتارخ ١٩٤٩/١١/٢٦ : « لقد رفض الاتحاد السوفييتي الرأي القائل باعلان استقلال فلسطين في دولة واحدة ، وأقر خلق دولتين : دولة يهودية ، ودولة عربية . من حق اليهود ان يبنوا هناك دولة ديمقراطية مستقلة ، تغدو نموذجا للمؤمنين بالديمقراطية في تلك المنطقة . ولليهود روابط وحقوق تاريخية أزلية في فلسطين . فمن الواجب ان نضمن لهم وطنا قوميا حيث مطلبهم التاريخي فيها . ان الجماهير العربية ، وفي طليعتها القيادة الديمقراطية ، ستتطلع يوما إلى موسكو ، ترتقب من الاتحاد السوفييتي العون لها في نضالها ، لمكافحة الاستعمار والرجعية والتخلف » .

★ واسمعوا ماذا قال في مجلس الأمن ، بتاريخ ١٩٤٨/٣/٣٠ : « لقد خلق تراجع الحكومة الامريكية عن موقفها المؤيد لقرار التقسيم وضعا جديدا للقضية الفلسطينية ، يستوجب علينا استنكاره . فموقف السوفييت هو موقف المؤيد المصمم على تنفيذ التقسيم . يصر المندوب الامريكي على ان مشروع التقسيم غير منصف ، وانه غير قابل للتنفيذ . . هذا المنطق هراء . لقد طبخوه في اسبوعين لترضية العرب . سنلجأ إلى جميع الوسائل في سبيل تنفيذه ، وسنكافح الوصاية الدولية على فلسطين ، اذا كان هدفها عرقلة تقسيمها ، وترك العصابات

العسكرية العربية تمنع حق الشعب اليهودي في وطنه واستقلاله» .

★ واسمعوه في مجلس الأمن أيضا ، بتاريخ ١٣/٣/١٩٤٨: «ليس صحيحا ان الموقف في فلسطين قد تدهور بسبب قرار التقسيم . فالذي يدفع الموقف إلى التدهور تقاعس بعض الدول كالولايات المتحدة عن العمل الجدي لتنفيذه، وعدم معارضة الدول العربية لتدخلها في فلسطين، واشهارها السلاح في وجه الأمم المتحدة . والرأي العام العالمي يستنكر ان تضحي الولايات المتحدة باليهود، من أجل أصحاب المصالح الرأسمالية من شركات البترول وغيرهم، ممن تربطهم بالعرب مصالح ، لقد أصاب الأمة اليهودية فواجع واضرار كبيرة ، على يد العنصرية النازية ، ومن الشناعة ان تُترك الآن تحت رحمة عنصرية أخرى . ان الوصاية على فلسطين هو دفن لقرار التقسيم، ولآمال الأمة اليهودية . ولا يمكن للهدنة ان تخدم اغراضنا ، الا اذا انسحب المعتدون العرب . ان الدم يسيل في فلسطين، ولا يحقنه سوى الحزم والتقسيم» .

★ واسمعوه يواصل كلامه في مجلس الأمن، بتاريخ ٢٣/٤/١٩٤٨: «من المستحيل تحقيق الهدنة في فلسطين، ما دامت عصابات ووحدات عسكرية قد دخلت البلاد من الخارج ، بقصد شن الحرب والخراب، ومعارضة الأمم المتحدة في مشروع التقسيم . ان على الأمم المتحدة ان تُنزل أقصى العقوبات

بالغزاة العرب، وان تعيدهم إلى الصواب » .

★ وواصل غروميكو كلامه في مجلس الأمن أيضاً، بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢١ بقوله: « يصر الاتحاد السوفييتي على ان قرار التقسيم هو أشد الحلول انصافا . لقد أعلن اليهود دولتهم، ونحن نعترف بهم ونؤيدهم، ولا حق لمجلس الأمن في التدخل الآن . ان قرار التقسيم هو حق شرعي لليهود، فاذا تجاهل ذلك مجلس الأمن، فقد شجع العناصر المعتدية على خلق المشاكل والمتاعب . واذا كان لمجلس الأمن من دور في الموقف الفلسطيني، فهو دور الردع للعدوان . وان الشعب العربي لا يناوىء حركة التحرير الوطني اليهودي (أي الصهيونية) ، وان الذي يناوئها انما هم نفر من الرجعيين وعملاء الاستعمار، الذين لا يمثلون الجماهير العربية . لقد قدمت هذه الدولة طلبا للانتساب إلى هيئة الأمم المتحدة، ونحن نؤيدها في ذلك . ولقد تبادلنا التمثيل الدبلوماسي الكامل معها » .

★ واسمعوه ماذا قال، في ١٩٤٨/٥/٢٩ ، وأمام مجلس الأمن أيضاً : « ان الدول العربية، في غزوها العسكري لفلسطين، انما تتحدى قرارات مجلس الأمن ان أي قرار يتخذه مجلس الأمن، يجب أن يؤيد تقسيم فلسطين، وصون الدولة اليهودية الجديدة . ان وقف الهجرة إلى فلسطين امر لا نقره، فقد غدا لليهود دولة مستقلة رسمية معترف بها قانونيا، ولذلك فنحن لا نملك الحق في منع اليهود من الهجرة إلى بلدهم، والا

وضعنا اليهود تحت رحمة العرب، ان الدولة اليهودية حقيقة قانونية قائمة، وليس لمجلس الأمن الحق في أن يفرض عليها امورا ليست من اختصاص الأمم المتحدة، بل هي من صميم الحق الداخلي للدولة اليهودية المستقلة. ان المشروع البريطاني القاضي بوقف الهجرة، إنما هو بمثابة عقوبة على الدولة اليهودية الجديدة، وكان الأجدر بها أن تُفرض على العرب».

★ واستمعوا إليه ماذا قال في المجلس اياه، بتاريخ ١٩٤٨/٦/١٥ «ان الصراع في فلسطين تفجره الرجعية العربية، مما يجعل يد مجلس الأمن مشلولة في حماية القدس وضواحيها، وهي التي لها مركز استثنائي عند سائر الاديان، فهل وصل العجز بالأمم المتحدة حدا لا تعبأ فيه بالضرر الذي سيصيب العقائد الدينية في القدس، بسبب العدوان العربي المسلح، أم أن على العالم باسره ان ينتظر من دعاة الالحاد وحدهم الدفاع عن حرمة الأماكن المقدسة؟ هل تريد امريكا استغلال فترة الهدنة للمساومة مع العرب على حساب الطرف الآخر؟ لماذا اذن ترفض وجود العسكريين السوفييت في فلسطين؟ لقد واجهت الولايات المتحدة اعظم الصعوبات في العام الماضي، لجمع الأصوات الكافية، لتأييد مشروع التقسيم» وكان لأصوات الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية القول الفصل في انجاح القرار».

★ أما جاكوب مالك فانه صرح أمام مجلس الأمن، بتاريخ ١٨/٨/١٩٤٨ بقوله: «الاتحاد السوفييتي لا يوافق على الهدنة المؤقتة، وانما يريد صلحا دائما بين العرب واليهود، لأن مصلحة الجماهير اليهودية والعربية التقدمية مشتركة، يصونها التعايش السلمى، والأخوة التقدمية. لقد أثار مندوب بريطانيا مشكلة اللاجئين العرب، وتجاهل مأساة اللاجئين اليهود في اوروبا. على من يقع اللوم في مشكلة اللاجئين العرب، ومن هم المسئولون عن كسر يدهم؟ ان الذنب يقع على شركات البترول الامريكية، التي ضغطت على حكومتها لتعارض تنفيذ التقسيم، وعلى الاقطاع العربي الذي تحدى قرارات الأمم المتحدة، واعتبرها قصاصة ورق يمزقها العدوان. ان الطريقة الوحيدة لحل مشكلة هؤلاء اللاجئين هي في حمل العرب على احترام قرار التقسيم، وتوطين اللاجئين وفق برامج ومشاريع، يقوم بها العرب انفسهم وباموالهم، في منطقة الشرق الأدنى، وكذلك على أساس مبدأ التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية وبين الجماهير التقدمية في اسرائيل».

★ وواصل جاكوب مالك قوله في مجلس الأمن أيضا، بتاريخ ٤/١١/١٩٤٨: «ان عمل مجلس الأمن الرئيسي هو في وقف العدوان العسكري، وترك الأمور على ما هي عليه، حتى يحين الوقت المناسب للأطراف المتنازعة، للوصول إلى

تسوية سلمية. وأول خطوات التعايش السلمي هي: مرحلة الهدنة المؤقتة، ثم مرحلة السلم، ثم مرحلة الصلح، ثم مرحلة التعايش السلمي. ان تاريخ القضية الفلسطينية لشاهد حي على أن الصراع عليها، انما هو صراع لسيادة القوى المتصارعة على الشرق الأدنى. ان الوضع الجديد (قيام اسرائيل) سيظل قادرا على البقاء، ولا نفع من طرح مشاريع أخرى، أو التراجع عن التقسيم. ومن الغباء ان نصر في هذه الآونة على أمور فرعية، مثل مسألة النقب».

★ ويواصل جاكوب مالك تصريحاته في مجلس الأمن، فهو يقول امامه بتاريخ ٢/١٢/١٩٤٨: «لقد وجدت اسرائيل لتبقى، حيث موطن اجدادها. ووجود اسرائيل في منطقة الشرق الأوسط سيكون عنصر خير وسلام وامثولة للجماهير العربية الطامحة إلى التخلص من الاستعمار والرجعية. ان اسرائيل تسعى إلى السلام والتعايش السلمي مع جيرانها العرب الذين يرفضون ذلك، بسبب الاستعمار والحكم الرجعي العربي. ولن يتخلف الاتحاد السوفييتي عن تقديم العون لاسرائيل وحركات التحرر العربية التقدمية، لتنظيف الوسط العربي من الاستعمار والرجعية».

أيها الرفاق، لربما كلام مندوبي الاتحاد السوفييتي في أروقة هيئة الأمم المتحدة قد أزعجكم، أو لربما، ونحن لم

نقتطف منه سوى غيض من فيض، كان طويلا على مسامعكم، ثقيلا على نفوسكم، وأنتم الذين ما تعودتم سوى ثقافة الشعارات. تأتيكم مقولبة من الخارج.. فخذوا منا هذا التلخيص من افواه اساتذتكم في هيئة الأمم المتحدة، ولكم علينا ألاّ نضيف إليه كلمة واحدة منها، أو ندلي بتعليق، ننقص منه كلمة واحدة:

« ان قضية فلسطين هي قضية اليهود، ليس يهود فلسطين فحسب، بل، وكل يهود العالم في كل مكان. وبما أن الوكالة اليهودية هي الممثل الصحيح للشعب اليهودي في فلسطين، لذلك يجب أن تعطى الفرصة في بحث ومناقشة قضيتها. ان قضية فلسطين تهم كل اليهود، وتزعجنا نحن السوفييت ايضا، كلما ارتفع صياح العرب. ان الاغلبية العظمى في العالم مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية فلسطين، وستقبل الحكم فيها. ونحن هنا نسأل الامم المتحدة، باسم الشعب اليهودي المشرد، بان تراعي آماله، فتقر له وطنا قوميا وحقوقا، ليست الحجج القانونية والتاريخية التي يقدمها العرب ذات شأن، بل يكفي أن نعرف ان اليهود قد عانوا الاضطهاد، وان في مقدمة مسئولياتنا ان نضمن لهم وطنا خاصا بهم. ومن حق اليهود الشرعي ان يفرضوا سيادتهم على فلسطين، لئلا يكونوا تحت رحمة العرب. ان الاتحاد السوفييتي يدعو ويؤيد ويعمل من أجل اقامة هذه الدولة،

وضمان مستقبلها . لقد رفض الاتحاد السوفييتي الرأي القائل باعلان استقلال فلسطين في دولة واحدة . ومن حق اليهود ان يبنوا هناك دولة ديمقراطية مستقلة ، تغدو نموذجا للمؤمنين بالديمقراطية في تلك المنطقة التي لليهود فيها حقوق وروابط تاريخية أزلية . وموقف الاتحاد السوفييتي لذلك هو موقف المؤيد والمصمم على تنفيذ التقسيم ، وسنلجأ إلى جميع الوسائل في سبيل تنفيذه ، وعدم ترك العصابات العسكرية العربية تمنع حق الشعب اليهودي في وطنه واستقلاله . ان الدم يسيل في فلسطين ، ولا يمنعه سوى الحزم والتقسيم ، ومن الشناعة ان تُترك الأمة اليهودية تحت رحمة عنصرية اخرى . وعلى الأمم المتحدة ان تنزل اقصى العقوبات بالغزاة العرب ، وان تعيدهم إلى الصواب . لقد أعلن اليهود دولتهم ونحن نعترف بهم ونؤيدهم ، فاذا تجاهل ذلك مجلس الأمن ، فقد شجع العناصر المعتدية على خلق المشاكل والمتاعب . ان الصراع في فلسطين تفجره الرجعية العربية . لقد وجدت اسرائيل لتبقى ، حيث موطن اجدادها . ان وجودها في منطقة الشرق الأوسط لهو عنصر خير وسلام ، وامثولة للجماهير العربية الطامحة إلى التخلص من الاستعمار والرجعية .

وان الاتحاد السوفييتي يريد صلحا دائما بين العرب واليهود ، لأن مصلحة الجماهير اليهودية والعربية التقدمية

مشتركة، يصونها التعايش السلمي والأخوة التقدمية. وأول خطوات التعايش السلمي هي: مرحلة الهدنة المؤقتة، ثم مرحلة السلم، ثم مرحلة الصلح، ثم مرحلة التعايش السلمي.

لقد أثار مندوب بريطانيا مشكلة اللاجئين العرب، وتجاهل مأساة اللاجئين اليهود في أوروبا. ان الذنب في مشكلتهم يقع على شركات البترول الامريكية، وعلى الاقطاع العربي الذي تحدى قرارات الأمم المتحدة، ان الطريقة الوحيدة لحل مشكلة هؤلاء اللاجئين هي في حمل العرب على احترام قرار التقسيم، وتوطين اللاجئين وفق برامج ومشاريع، يقوم بها من تسبب في نكبتهم العرب أنفسهم، في منطقة الشرق الأدنى، وكذلك على أساس مبدأ التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية، وبين الجماهير التقدمية في اسرائيل.

ان الجماهير العربية، وفي طليعتها القيادة الديمقراطية، ستتطلع يوما إلى موسكو، ترتقب من الاتحاد السوفييتي العون لها في نضالها لمكافحة الاستعمار والرجعية والتخلف. ولن يتخلف الاتحاد السوفييتي عن تقديم العون لاسرائيل وحركات التحرر العربية التقدمية لتنظيف الوطن العربي من الاستعمار والرجعية».

ومن هذا ترون أيها الرفاق المحترمون:

١ ـ ان الاتحاد السوفييتي يعتبر ان قضية فلسطين انما هي

قضيـة اليهـود، كـل اليهـود، في داخـل فلسطين وخارجها، حيث لهم فيها حقوق تاريخية أزلية. وان العرب، كل العرب، في داخل فلسطين وخارجها لا حق لهم فيها.

٢ ـ وان لليهـود الحق في اقـامـة دولـة مستقلـة لهم في فلسطين، يؤيدها، ويحميها الاتحاد السوفييتي، بكافة الاساليب والوسائل. أما العرب فليس لهم إلا أن يتعايشوا معها سلمياً، حتى يستفيدوا من امكاناتها الحضارية التي ستنير سماء الشرقين: الأدنى، والأوسط.

٣ ـ أما اللاجئون العرب فليس لهم الا التوطين، حيث هم، في ديار من تسببوا في نكبتهم، واليهود بالطبع ليسوا من هؤلاء، لأنهم شعب مضطهد مظلوم مغلوب على أمره، يستحق الرعاية والعطف.

٤ ـ ومشكلة فلسطين في عرف الاتحاد السوفييتي ليست مشكلة شعب شرّد من وطنه بغير حق، وانما هي مشكلة أوجدتها الرجعية العـربيـة وشركـات البترول الامريكية، وتدخل الغزاة العرب. وبناء على ذلك فان الشعب العربي الفلسطيني حين قاوم تقسيم وطنه انما اعتدى بذلك على اليهود، اصحاب الحق الشرعي في فلسطين.

٥ ـ وان الاتحاد السوفييت، اخيرا وليس آخراً، مستعد

لتقـديم العـون المادي والأدبي لحركتي التحـريـر الوطنيتين: (اليهودية الصهيونية)، والعربيـة (الحزب الشيوعي العربي).

لقد صعق محمود فوزي، مندوب مصر الدائم في هيئة الأمم المتحدة، كما صعق فارس الخوري من قبله، لمواقف مندوب الاتحاد السوفييتي، بـالنسبـة للقضيـة الفلسطينيـة، فصرخ امام اللجنة السياسية، بتاريخ ١٩٤٨/١١/٢٩، وتاريخ ١٩٤٨/١٢/٢٨ بقوله «لقد فسر مندوب الاتحاد السوفيتي الجيوش الاجنبية بانها تعني الجيوش العربية التي هي ابعد ما تكون عن هذه التسمية. انه لم يأت على ذكر الجيوش التي اتت من سائر انحاء العالم، وبنوع خاص من اوروبا الشرقية، لتعزيز القـوات اليهـوديـة. اليسـت هـذه جيوشا أجنبية؟ ان السكان العرب طردوا من بلادهم بقوة السلاح.. السلاح المعـروف مصـدره عنـد ممثـل الاتحاد السوفييتي. لقـد حـاول المنـدوب السـوفييتي ان يثبـت ان القوات العربية دخلت فلسطين لخلق الاضطرابات، ولمنع اية تسـويـة. ان هـذا القـول يخالـف الحقيقـة والواقـع، لأن الصهيونيين هم الذين بدأوا القتال، وان العرب حين حملوه فانما كانوا يدافعون به عن حقهم. ليس من الصعب ان ندرك لماذا طالب الاتحاد السـوفييتي وبـولنـدا بـانسحـاب القوات العربية، بينما نرى الجيوش المدربة تدريبا ايدلوجيا

معينا تصل كل يوم من أوروبا الشرقية، لمساعدة الصهاينة في عدوانهم المسلح».

أسمعتم أيها الرفاق صوت محمود فوزي أم أن هو الآخر صوت عربي لا يستحق السماع؟ اذن فاسمعوا تصريح الملحق العسكري السوفييتي، في سفارة الاتحاد السوفييتي في باريس بتاريخ ١٩٦٤/١/٢٤ لمراسل جريدة معاريف الاسرائيلية، الذي كان مرافقا لوفد يهودي إليها، لشراء صفقة من الاسلحة الفرنسية لدولة العدوان الاسرائيلي؟ اسمعوه اذن وعوه: «تستطيع اسرائيل أيضا ان تشتري السلاح منا، فالقضية عندنا هي المتاجرة، وليس في تجارتنا أي التزام بالنسبة للمشكلة الفلسطينية. اننا على اتم الصلات باسرائيل، ولن يصدر منا ما يضر بكيانها السياسي المستقل. اننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية فقط، ولن نشاركهم في العدوان على اسرائيل. نحن زودنا اسرائيل بالسلاح والعتاد والرجال في أشد أوقات الأزمة الفلسطينية، يوم ان كانت حركة التحرير الوطني اليهودية (الصهيونية) في أمس الحاجة إلى العون. ان ما قدمناه ونقدمه للجمهورية العربية المتحدة من سلاح هو لاغراض دفاعية، ولن نسمح باستخدامه ضد اسرائيل. واذا احتاجت اسرائيل إلى سلاحنا، فليس لدينا ما يمنع من ان نبيعها اياه. الا أن اسرائيل ليست بحاجة إليه، لانها تحصل على

حاجتها وعلى ما يفوق حاجتها من مصادر صالحة لها . ونحن لا نعارض ذلك، لان ما نبيعه هو لصالح اسرائيل . لا تنزعجوا من السياسة السوفيتية، فهذه السياسة متممة، بل وضرورية لسلامة اسرائيل . لتطمئن اسرائيل فالاتحاد السوفييتي يدرك انها قوية، وهو أمر ضروري لسياستنا في المنطقة العربية ، فمصالحنا متجانسة مع مصالحها . واننا نرعى الاشتراكية العربية تعزيزا لمصلحة اسرائيل ايضا » .

اذن السلاح الذي يقدمه الاتحاد السوفييتي للدول العربية انما هو سلاح لاغراض دفاعية فقط، وان ما تبيعه روسيا منه للعرب انما هو لصالح اسرائيل، لأنه من النوع الرديء لا يباري الاسلحة التي بيدها . ولذلك فعلى اسرائيل ألا تنزعج من السياسة السوفييتية في المنطقة العربية ، لان هذه السياسة متممة لسياسة اسرائيل . . فهناك تفاهم مسبق بين اسرائيل وبين الاتحاد السوفييتي على هذه السياسة ، لان المصالح متجانسة ، ولان الاتحاد السوفييتي لا يرعى الاشتراكية العربية الا تعزيزا لمصلحة اسرائيل فقط .

هذا ليس كلامنا ايها الرفاق، هذا كلام مسئول روسي . . ومن فمك ادينك .

٤ ـ العرب واليهود في الميزان :

وبناء على رعاية الاشتراكية العربية، تعزيزا لمصلحة اسرائيل في ديارنا ، تميزت المرحلة التي اعقبت الاعتراف

الدولي باسرائيل عام ١٩٤٩م.، حتى قيام حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م.، بانفصام شكلي بين الشيوعية العربية وبين التوجيه الصهيوني.. فتركت اسرائيل للاتحاد السوفييتي حرية التصرف في قيادة اليسار العربي، وذلك لتعذر استمرار العناصر اليهودية في قيادة وتوجيه هذا اليسار، كما كانت تفعل سابقا، ولان كل جهد اشتراكي في المنطقة العربية تبذله اسرائيل، لن يساعد الا على عزل هذا اليسار وملاحقته جماهيريا.. وهذا بالطبع ليس في صالح اسرائيل، ولا في صالح روسيا، ولا حتى في صالح اليسار العربي الذي وضع نفسه، منذ أنشأه اليهود في بلادنا، في خدمة روسيا، وخلق اسرائيل. وهكذا دخلت روسيا المنطقة العربية متظاهرة بأنها تؤيد الحق العربي وتعادي اسرائيل.. فها هو السلاح الروسي ينهال على العرب برهاناً على صداقتها وحسن نيتها. وها هي روسيا والدول الاشتراكية ما عدا رومانيا، لتكون حلقة وصل بين الدول الاشتراكية واسرائيل ـ تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، وتتظاهر بشجب مواقفها العدائية بحق العرب.

لقد اثبتت كل الحروب والمواجهات العسكرية العربية مع اسرائيل بأن السلاح الذي كانت تقدمه روسيا للعرب كان سلاحا متخلفا، قد تخطاه العصر. وان اضعف سلاح كانت تقدمه امريكا وفرنسا والدول الغربية لاسرائيل كان أقوى من أمضى سلاح كانت تقدمه روسيا للعرب. لقد

كان السلاح الروسي الذي يقدم لنا سلاح (خردة) وكنا بالمقابل ندفع ثمنه من رغيفنا ودمنا، ونبذل صداقتنا لروسيا حارة مخلصة، ونملأ الدنيا هتافا وتصفيقا لمواقفها الانسانية المشرفة، والماء يجري من تحتنا، ونحن لا ندري إلى أين نسير. لقد كانت اسرائيل على علم مسبق بكل قطعة سلاح كانت تقدمها روسيا لنا، عن طريق اليهود الموجودين هناك، في أعلى المناصب القيادية والتوجيهية. وكان السلاح سلاحا دفاعيا، لا يصلح لمعركة التحرير، هذا بالاضافة إلى أن استعماله مرهون بموافقة الاتحاد السوفييتي. وهو في الأصل ليس موجها ضد اسرائيل. اما النوع المتطور منه فكان بيد خبراء من الروس، لا يستخدمونه إلا في الازمات وهم ان استخدموه فانما يستخدمونه لغير صالحنا. وبهذا السلاح الخردة المشروط الاستعمال رهن الاتحاد السوفييتي عنده مستقبل من يتعامل معه من العرب اقتصاديا وسياسيا وعسكريا.

لم يكن هناك جماعة في المنطقة العربية استطاعت ان تتحدى مشاعر ومصالح، الأمة العربية، فترفع راية التفاوض والصلح، والتعايش السلمي مع اليهود، منذ أن قامت اسرائيل، غير الرفاق الشيوعيين العرب[٣]، الذين حاولوا ان يحولوا الصراع العربي الاسرائيلي، من صراع

---

(٣) وجاءت المبادرة الساداتية لتتوج مبادرتهم النظرية بمبادرة علنية عملية.

قومي إلى صراع طبقي.. وكأنه اذا حلت مشكلة الرجعية العربية، على حد زعمهم، ومشكلة العسكرية الاسرائيلية، تحل المشكلة العربية اليهودية اوتوماتيكيا، ويصبح لليهود الدخلاء المغتصبين الحق في ان ينعموا بما اغتصبوه من أرض العرب وأموالهم وممتلكاتهم، حلالا زلالا، وان يعيشوا بينهم معززين مكرمين، في امن واحترام وسلام. وكأن اليهود ما جاءوا إلى فلسطين إلا لحل مشاكل العرب، واضاءة مشاعل الحرية والديمقراطية، ونشر الحضارة الاسرائيلية التوراتية التلمودية في سماء ملبدة بغيوم الجهل، مصطرعة البروق والرعود. وكأن الخلاف العربي اليهودي ليس خلافا تاريخيا، يضرب جذورا في أعمق أعماق الزمن، منذ ان ظهر أول خابيرو في سماء بلادنا، قبل اربعين قرنا، حتى اليوم، وإلى ان تقوم الساعة.

٥ ـ تاريخ وتاريخ:

مضت على اسرائيل السنوات الست الاولى، منذ قيامها عام ١٩٤٨.، بعدة احداث بارزة في العلاقات الاسرائيلية ـ السوفيتية.. اسرائيل تدعم كيانها، والاتحاد السوفييتي يدعم الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي. ثم مات ستالين، وبموته كسر طوق الستار الحديدي الذي كان قد ضربه حول الاتحاد السوفييتي، طيلة أيام حكمه. وأصبح لمن جاء بعده.. مالينكوف، وبولجانين وخروشوف، وبريجينيف..

حرية العمل الخارجي، بعد أن انفتح هؤلاء على العالم الخارجي. ولهذا أخذ خلفاء ستالين يساعدون اليسار العربي، بدون أن يكون هذا اليسار مشدودا لموسكو شدا كاملا.. فأثمر ذلك صفقة الاسلحة الروسية، والتأييد الظاهري للعرب، وتبادل زيارات الوفود الرسمية والشعبية لتمتين العلاقات والصداقات، وعقد شكل من أشكال المعاهدات الدفاعية.. ولكن مع اصرار الاتحاد السوفييتي دائما، على وجوب: التفاوض، والصلح، والتعايش السلمي مع اليهود.

ولعلم الرفاق الشيوعيين فقط، نذْكر ونذكِّر بان اليهود، في الدول الشيوعية قاطبة، يسيطرون سيطرة شبه تامة على لجان وإدارات التنسيق مع الخارج، وفي جملتها تصدير الاسلحة. وعن هذه الطرق يزودون اسرائيل بادق المعلومات عن الوفود والبعثات الرسمية والشعبية التي تزورها، وعن كل قطعة سلاح يقدمونها لنا. وهؤلاء يزودون اسرائيل ايضا بكل ما تود معرفته عن الدول المتواجدين فيها، وبخاصة عندما تقطع تلك الدول علاقاتها الدبلوماسية شكليا مع اسرئيل.. فهم هم سفراؤها الحقيقيون حيث وجدوا. وهم يمثلون نسبة عالية من بين مدرسي الجامعات والمعاهد العليا، والتوجيه العقائدي والإعلامي في الحزب والسياسة الخارجية، ولهم وجود ايضا في الجيش.. فجاكوب كريزر مثلا، وهو أحد الجنرالات اليهود في الجيش الروسي، اشترك في جميع

المفاوضات العسكرية السوفيتييتية ـ العربية التي جرت في القاهرة بغرض شراء السلاح[٤] .

وباختصار فان العلاقات الاسرائيلية السوفييتية يطويها ستار كثيف من السرية والكتمان، يبعدها عن أعين الغير، حتى تستطيع الدولتان ان تلعبا الدور بدقة، كل بما يخصها، في الاقبية المظلمة. قد يعترض الرفاق قائلين: ولكن جاكوب كريزر وأشباهه من اليهود في الجيش أو في غير الجيش، إنما هم مواطنون سوفييت، قبل ان يكونوا يهودا.. ونحن بدورنا نسألهم: ومتى كان اليهودي يعطي ولاءه لغير توراته وتلموده وبني دينه؟ اليهود عاشوا في الاتحاد السوفييتي، منذ قامت ثورة اكتوبر، عام ١٩١٧ الشيوعية، وما زالوا يعيشون وسيبقون كما كانوا بيض الجلود، لم ولن تخالط لونهم الحمرة الشيوعية قط... لقد أصبح أحمد أحمدوف، وأصبح أرتين ارتينسكي.. اما كوهين فبقي كوهين الكوهين بشحمه ولحمه.. وها هم، وبعد أكثر من ستين عاما على قيام الثورة الشيوعية، يهاجرون بجلودهم اليهودية إلى فلسطين، يحملون كل احقاد التوراة والتلمود، ويترنمون بمزامير العودة، ويشحذون حراب يوشع وشمشون والميكابيين لقتل كل أمرأة وشيخ وطفل في فلسطين.

واذا كنتم مازلتم في ريب مما نقول، فإليكم الادلة القاطعة:

---

(٤) العلاقات الشيوعية الصهيونية، نهاد الغادري، ص٤٠ .

١ ـ في العدوان الثلاثي على مصر، عام ١٩٥٦م. سكت الاتحاد السوفييتي الخمسة الأيام الأولى على العدوان. وكان موقفه في الأمم المتحدة اكثر مرونة من موقف الولايات المتحدة. ولم يوجه بولجانين الانذار الروسي، الذي يتبجح به الشيوعيون إلا في اليوم السادس من بداية العدوان.. وجه بولجانين الانذار بعد أن ضمن صدق الموقف الامريكي وصراحته، وان ايزنهاور كان عازما على انهاء الاعتداء باي ثمن. وأثبت ايدن ذلك في مذكراته، فقال: «لقد حافظ الروس في الأيام الأربعة الأولى على الهدوء وضبط النفس، وكان تدخلهم أكثر اعتدالا من تدخل الولايات المتحدة، فلم يدينوا الاجراء الانجليزي الفرنسي، كما أدانه سندوب الولايات المتحدة، في مشروع قراره لمجلس الأمن، ولم تنشط دعايتهم إلا بعد أيام، عندما اتضح ان الولايات المتحدة تتولى زعامة الحركة المضادة لنا في الأمم المتحدة. وعلى هذا الأساس جاء الانذار الروسي متشددا »(٥).

ونعود لنؤكد مرة ثانية بان الموقف الامريكي هذا لم يكن لنصرة العرب، وانما كان نابعا من ان الولايات المتحدة لم تستشر في العدوان قبل وقوعه،

---

(٥) العلاقات الشيوعية الصهيونية، نهاد الغادري، ص١٤٥ .

ولم يكن لها حضور فيه بعد ان وقع. وفي تقديرنا ان العدوان قد أوقف، ليس بسبب الموقف الامريكي، ولا بسبب الأنذار الروسي، وانما بسبب بسالة الشعب العربي في مصر، وبور سعيد أكبر شاهد على ذلك. وبسبب تأييد الأمة العربية لمصر في صد العدوان وكذلك لاستنكار جميع شعوب العالم لهذا العدوان وشجبه، وفي جملتهم شعبا انجلترا وفرنسا المعتديتين والجهة الوحيدة التي لم تشجب هذا العدوان في العالم هم اليهود في اسرائيل وخارج اسرائيل. وان مطالبة الاتحاد السوفييتي بوقف العدوان، لا يعني التخلي عن الكيان الصهيوني، ودعم اسرائيل ماديا وأدبيا، والا لطالب الاتحاد السوفييتي بازالة هذا الكيان العدواني، كما يطالب دوما بزوال الاستعمار والرجعية.. موقف سليم وقفته جميع شعوب العالم كلها مخلصة، ماعدا حكومات الدول المعتدية الثلاث، أو جماعة اليهود.

٢ ـ زار سفير الاتحاد السوفييتي في مصر الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، بعد منتصف ليلة حرب الأيام الستة، وطلب منه بالحاح الا تكون مصر هي البادئة بالحرب، وأكد له أن إسرائيل لن تبدأ هذه الحرب أبداً. وروى عبدالناصر، بعد الهزيمة، بأنه ما سحب قوات الطوارىء الدولية، واحل محلها القوات

المصرية، إلا بعد أن أبلغه السوريون، وأكد له الروس، ان القوات الاسرائيلية محتشدة على طول خطوط المواجهة مع سوريا، تمهيداً للعدوان عليها. وهكذا أقدم عبدالناصر على ما أقدم عليه تنفيذا لالتزاماته بميثاق الدفاع المشترك بينه وبين سوريا والاردن، الذي ما جف مداده بعد. وقد تبين، بعد انكشاف غبار المعركة بأن هذا الحشد لم يكن صحيحا، وان المنطقة العربية وقعت ضحية كذبة مؤامرة كبرى، أدت إلى هزيمة عام ١٩٦٧ المفجعة.

كيف حدث ذلك؟ لماذا حدث ذلك؟ إليك ما قالت حزام..

لقد كان هدف الاتحاد السوفييتي، في كل ما حدث، هزيمة الأنظمة العربية الموالية له في المنطقة العربية، ولكن بدون ان تسقط، لأنها كانت آنذاك تتململ للافلات من قبضته، كما كانت تغازل امريكا، فأراد بذلك أن يؤدبها، وان يبعدها عن امريكا، لتعود إليه راكعة ذليلة.. وهذا ما حدث فعلا. لقد روعنا موقف الاتحاد السوفييتي.

بعد الحرب.. روعنا وهو يتظاهر لنا بتأييدنا وتسليحنا، وفي الوقت نفسه يطالبنا بالتفاوض والصلح والتعايش السلمي مع من التهم بقية فلسطيننا، وزاد

عليها سيناء والجولان. فإذا كان الاتحاد السوفييتي لا يعلم بالحشد اليهودي فتلك مصيبة، وان كان يعلم فالمصيبة أعظم. ونحن لا يتطرق إلينا شك بانه كان يعلم، وان تلك كانت مؤامرة كبرى، دفعنا ثمنها غاليا من دمنا وكرامتنا.

٣ - وفي عام ١٩٦٥م. اعار الاتحاد السوفييتي إسرائيل عالما ذريا يهوديا، هو الدكتور لاندو، للتدريس في معهد وايزمن، والمساهمة في ابحاث اسرائيل الذرية وانتاجها[٦]. وفي عام ١٩٦٤م. باع الاتحاد السوفييتي لاسرائيل جميع ممتلكات الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين، وبارك سفير الاتحاد السوفييتي في اسرائيل هذه الصفقة بقوله: «ان ذلك يشكل اعترافا راسخا بكيان اسرائيل المستقل، وبحقها في ان ترث الممتلكات والنفوذ التقليدي لأي طرف أجنبي، سبق أن كان له في الماضي بعض الامتيازات في فلسطين». ولم يذكر لنا السفير العتيد: هل الأراضي والبيوت والممتلكات التي خلفها اللاجئون العرب وراءهم، بعد حرب ٤٧/٤٨، والتي تصفها اسرائيل بأنها (ممتلكات الغائبين)، هل هذه الممتلكات تقع ضمن «الممتلكات لطرف أجنبي آخر سبق أن كان له بعض

(٦) العلاقات الشيوعية الصهيونية، نهاد الغادري، ص١٥٤.

الامتيازات في فلسطين، أم لا »؟

هذا والاتحاد السوفييتي لم يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية إلا بعد قيامها بعدة سنوات.. فقد رفض ان يسمح لها بفتح مركز في موسكو، كما رفض تدريب الفلسطينين عسكريا، أو تزويدهم بالسلاح، إلا لقلة قليلة من الشيوعيين المرتبطين به، تمهيدا لتنفيذ مخططاته في المنطقة، وليس بهدف التحرير. لقد فضحت جريدة كول هاعام الاسرائيلية، عام ١٩٦٥م.، موقف الاتحاد السوفييتي هذا بقولها: « ان اسرائيل تعلم جيدا ان نفوذ الاتحاد السوفييتي في العالم العربي، واعتماد العرب على روسيا عسكريا وسياسيا واقتصاديا، انما هو في المرحلة الراهنة، وفي المراحل النهائية ايضا، لمصلحة اسرائيل، يعزز امنها وكيانها تعزيزا راسخا». وما لنا نذهب بعيدا، ودافيد هاكوهين، قطب حزب الماباي يصرح: « ان حاجة اسرائيل للاتحاد السوفييتي كحاجة الاتحاد السوفييتي لإسرائيل. وحين يجيء الوقت المناسب فسيلعب الاتحاد السوفييتي أكبر دور في تصفية القضية الفلسطينية. ونحن وموسكو على يقين من انه لن يكون بيننا اي خلاف على المشاريع المرسومة والمفهوم مسبقا، لاقرار التعايش السلمي، وتصفية المشاكل في الشرق الأوسط».

وليس التأييد الظاهري الذي يبديه الاتحاد السوفيتي اليوم للثورة الفسطينية في المحافل الدولية، وفي تقديم بعض الأسلحة والمساعدات المادية لها، سوى تأييد شكلي لاحتواء الثورة، كما احتوى بعض الانظمة العربية، وبخاصة بعد ان ضربت الثورة جذورا عالمية، وأصبح لها وزن في المحافل الدولية... ومن ثم سوقها إلى: التفاوض، والصلح، والتعايش السلمي، كما يدعو هو دائما، وكما يطالبنا أنصاره حين يدعون بدعوته. وهأننا نلمح في الافق مثل هذه البوادر، ابطالها بعض كبار زعماء اليهود في امريكا وأوروبا الشرقية، ممن يمثلون في دولها مناصب عالية، وبعض المستسلمين منا، مع الأسف الشديد، يبحثون عن منافذ لمثل هذه التنازلات.. اختلت الموازين فعز المنطق، واختلطت الالوان فغامت الرؤية.. ولكن هناك حقيقة أزلية غابت عن أبصار هؤلاء وهؤلاء وهي: ان اليهود ما تجمعوا في العالم يوما إلا ليضربوا ويُسبوا، لأنهم حويصلة تاريخية يستعصون على التعايش مع أي مجتمع حي يبتلى بهم، لذلك فليس إلا النبذ والابادة والطرد، وغاب عنهم ان العرب قد تمثلوا تاريخيا جميع الأمم والحضارات التي مرت بهم، فأذابوا غيرهم فيهم، ولم يذوبوا في غيرهم، ولفظوا كل الغزاة والطغاة

والطامعين، وبقوا حيث هم واقفين صامدين يتحدون كل طاغية وغزو.. وسيأتي ذلك اليوم، طال ذلك اليوم أم قصر، الذي سيدرس فيه أطفالنا، في كتب تاريخهم، هذه الهجمة الصهيونية، مع هجمات داريوس، والاسكندر، وجنكيزخان، غودفرى، ونابليون، وغورو، واللمبي.. لقد غيبتهم هذه الأرض الطيبة فيمن غيبت من الغزاة والطامعين، وسوف تغيب معهم أحفاد يهوذا الذين يلعبون بالنار.. فولاّدة الأبطال مازالت وستبقى نجيبة، ولن تعجز عن إنجاب الأبطال، مادام في عروقها دم عربي ينبض، وما دام المؤذن يعلن من على مآذنها كل يوم خمس مرات: الله أكبر، الله أكبر..

٦ ـ نبات غريب، ومبادىء مستوردة:

هل يعرف الرفاق الشيوعيون العرب من أي مشاتل استُوردت نبتاتهم، ومن أي فلسفات ومبادىء نبعت أفكارهم؟ لا.. لا تتعجلوا أيها الرفاق، واستمعوا الينا، فقد تجدوا في حديثنا بعض اللذة أو الفائدة، إن لم تجدوا فيه ما يوافق أذواقكم وأهواكم.

إن أول حزب شيوعي أنشيء في الوطن العربي هو الحزب الشيوعي الفلسطيني، أنشأه اليهود الروس، عام ١٩١٩م. أولئك الذين هاجروا إلى فلسطين، في أعقاب المذابح التي

تعرضوا لها في روسيا، بعد اغتيال القيصر الكسندر الثاني، عام ١٨٨٢م... وهؤلاء حملوا معهم إلى فلسطين بذرتي الصهيونية والشيوعية.

ومن فلسطين امتدت أذرع الشيوعية شمالا وشرقا وغربا. ولو حاولت أن تؤرخ للأحزاب الشيوعية في الاقطار العربية، لوجدت أن بداية منشأ كل حزب، ومن أنشأه هما من أكثر جوانب القضية إبهاما وغموضا. ولو انعمنا النظر في التاريخ الذي يذكره كل حزب لنشأته، واسماء الأشخاص الذين أنشأوه، لوجدنا خلف هذا التاريخ تاريخا آخر أقدم منه، ولوجدنا خلف هؤلاء الأشخاص اشخاصا آخرين غيرهم، كلهم من اليهود.. فلا أحد يعرف بالضبط مثل هذه الأمور إلا قلة قليلة من الشيوعيين اليهود، وقلة قليلة من العرب الشيوعيين الذين كانوا على تماس معهم اثناء ذلك.. فالحزب الشيوعي في سوريا ولبنان مثلا يبذل كل جهده ليدخل في روع اعضائه بانه قد تأسس عام ١٩٣٠م.. والواقع أنه تأسس في لبنان، عام ١٩٢٤م.، وأن مؤسسيه كانوا من اليهود الذين قدموا إلى لبنان من فلسطين، وان يوسف يزبك، وفؤاد شمالي ساعداهم في مهمتهم تلك، وان حزب سبارتاكوس الارمني قد انضم إليهم، عام ١٩٢٥م.، فتألفت بذلك لجنة الحزب المركزية من خمسة أعضاء هم: يوسف يزبك، وفؤاد شمالي، وهيكازون بوبادجيان، وأرتين مادويا، وجاكوب تيبر (يهودي فلسطين من أصل روسي).

وفي عام ١٩٢٦م.، اعتُقلت اللجنة المركزية للحزب، وكانت تتألف آنذاك من سبعة أعضاء، وأبعد لذلك جاكوب تيبر إلى فلسطين، فانتهت بذلك المرحلة الأولى من تأسيس هذا الحزب في لبنان وسورية.

وفي عام ١٩٢٨م.، أُطلق سراح المعتقلين، فانتقل نشاطهم من لبنان إلى سوريا، فانضم إليهم فيها كل من: أحمد ظاظا، وفوزي الزعيم، وخالد قوطرش (بكداش). ظل الصراع محتدما بين هؤلاء على رئاسة الحزب، حتى عام ١٩٣٢م. حين تمكن خالد بكداش، بترشيح من جاكوب تيبر وتأييده، من أن يصبح رئيس الحزب غير منازع. وهنا ظهر مع خالد بكداش ثلاثة وجوه جديدة هم: نقولاشاوي، وفرج الله الحلو، ورفيق رضا.. وهذا الأخير قُدر له ان يلعب دورا هاما، بعد أكثر من ربع قرن قضاها في خدمة الحزب، من فضح هذا الحزب، وكشف أسراره.. تماما كما قُدر للاستاذ الأعظم يوسف الحاج ان يفضح الماسونية، ويكشف أسرارها.

وكما كانت بدايات تأسيس الأحزاب الشيوعية في فلسطين ولبنان وسورية بدايات يهودية، كذلك كانت في العراق ومصر.. فالحزب الشيوعي العراقي كان في قيادته التأسيسية: صديقه يهوذا، وساسون دلال، ويعقوب كوجمان، وكلهم يهود.

أما في مصر فقد تأسست الحلقات الماركسية الأولى

بإشراف مندوبي الكومنترن أمثال: أفجيدور، ونا داب، وهما يهوديان روسيان. وقد انضم إليهما: انطون مارون، وسلامة مـوسى، وروزنتـال، وحسني العـربي. ثم تـأسسـت المنظمات الماركسية الأولى بإشراف اليهـود. فـأسس هنري كـوريـل (يهودي من أصل إيطالي) الحركة المصرية للتحرر الوطني. وأسس هيلل سفارتس الايسكرا (الشرارة). وأسس مرسيل اسرائيل منظمة تحرير الشعب. ثم انضمت الايسكرا إلى الحركة المصرية للتحرر الوطني تحت زعامة هنري كوريل وأصبحتا تعرفان باسم حدتو، التي أخذت تصدر صحيفة الجماهير، لنشر أفكارها. كما أسس يوسف درويش، وريمون دوبك حركة د.س، وأسس حركة م.س.م. الشيوعية أوديت وزوجها سلمون. وجميع هؤلاء من اليهود.

وكما أن كل مؤسسي الحركات الشيوعية في وطننا العربي كانوا من اليهود، كذلك فان معظم القيادات التي تعاونت معهم، والتي جاءت بعدهم، كانوا وما يزالون باغلبيتهم من الاقليات العنصرية والطائفية.. لماذا؟ لأن الاقليات في كل زمان ومكان تبحث لها دوما عن سند خارجي، يحميها من احتواء الاكثرية لها. ويمنحها سمة التفرد والتمايز. ولهذا فالاقليات دوماً كانوا تاريخياً مصدر ازعاج وقلق للاكثرية التي كانوا يعيشون بينها، وكثيراً ما كانوا جسرا وعيونا لاعدائهم عليهم. واليهود خير مثال على ذلك.

٧ ـ صيحات وصيحات:

اسمعوا، اسمعوا أيها الرفاق، ماقاله رفيق منكم، في كتاب استقالته[٧]: إنه رفيق رضا، أحد المؤسسين الأوائل للحزب الشيوعي السوري.

قال رفيق رضا: «في عام ١٩٣٢م.، وفد إلى بيروت عدة مندوبين شيوعيين يهود، يحملون مبالغ وافرة من المال، إلى قيادة الحزب الشيوعي اللبناني. ولقد أبدلت أنا لهم شخصيا قسما من هذه الأموال بالعملة المحلية. وفي عام ١٩٣٨م.، حملت إلى الحزب مبلغ ٢٥ ألف فرنك، أرسلها الحزب الشيوعي الفرنسي إلى الحزب الشيوعي اللبناني، لتوسيع حملة شعبية، من أجل اقرار المعاهدة الفرنسية السورية، ومحاربة الاتجاه الوطني. هذا وقد حمل خالد بكداش بنفسه مبلغا آخر من المال إلى شيوعيي فرنسا، حين ذهب للاشتراك في مؤتمر آرل، للحزب الشيوعي الفرنسي.

كنتم منذ عام ١٩٣١م.، وما بعده على أحسن حال مع الشيوعيين اليهود، تتبادلون معهم البعثات والآراء، وتشركونهم في بحث أمور سيادتكم وأوضاع بلادكم.. أرسلتم فرج الله الحلو إلى تل أبيب، ليستطلع رأي الشيوعيين اليهود في خطة حزبكم. ثم استقدمتم إلى بيروت الشيوعي اليهودي نخمان ليفتسكي لتستأنسوا برأيه في أحد مؤتمرات الحزب. لقد أوصاكم نخمان

(٧) نشر الكتاب في جريدة الجماهير الدمشقية، العدد ٦٩، بتاريخ ١٩٥٩/٦/١٥ م.

بأن تتشددوا أكثر مع الأحزاب والجماعات الوطنية في سوريا ولبنان، على اعتبار أنها احزاب انتهازية، هذا في وقت كان الاستعمار الفرنسي يمعن في محاربة تلك الأحزاب والجماعات، نفيا وسجنا وتقتيلا وتشريدا. وقبل نخمان كان مستشاركم السياسي برنمو. وبعده وفد عليكم العديد من المستشارين اليهود الذين كانت لهم الكلمة الأولى في سياسة حزبكم. وقد حمل لكم هؤلاء الأموال والتوجيهات الأجنبية».

اسمعتم أيها الرفاق ما قال رفيق رضا، بعد تجربة ربع قرن، قضاها حاملا العلم الأحمر، متابطأ الكابيتال والمنفيستو؟

فليس غريبا، ولا مستغربا إذن أن تكون جميع الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي إرجاع صدى للاتحاد السوفييتي والشيوعية العالمية، وان تتطابق مواقفها مع مواقف الصهاينة في قضايانا المصيرية، وتتطابق أحياناً مع الاستعمار.

هل أنتم في شك، فاسمعوا إذن خبر خالد قوطرش (بكداش)..

في عام ١٩٣٧م.، قدَّم خالد بكداش تقريرا، باسم الحزب الشيوعي السوري إلى مؤتمر بلودان، الذي عقد لبحث القضية الفلسطينية، حدد فيه رأي الحزب الشيوعي بالنسبة للقضية الفلسطينية. لقد لخص خالد بكداش رأي حزبه في: رفض التقسيم، ومنع الهجرة اليهودية، ومنع بيع الأراضي العربية، وإقامة نظام حكم دستوري ديمقراطي للشعبين: العربي

واليهودي ، وسكت خالد بكداش عن مطلب الاستقلال الوطني ، سكوت القبر .

وخالد بكداش هذا هو الوحيد من بين زعماء سوريا الذي عارض قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، عام ١٩٥٨ . باسم حزبه ، وهرب إلى الاقطار الشيوعية ، حتى لا يكشف أمره وأمر حزبه ، من قضية وحدة العرب . هذا وقد حذت الأحزاب الشيوعية كلها في الوطن العربي ، بلا استثناء ، حذو الحزب الشيوعي السوري ، في معارضة تلك الوحدة ، وكل وحدة ، لأن الشيوعيين يريدون هذه الأمة ممزقة الأوصال ، ضعيفة ، غير مرهوبة الجانب ، حتى يسهل عليهم القفز من تفرقها وضعفها إلى كراسي الحكم ، وصبغها باللون الأحمر القرمزي .

لقد ظل الرفيق خالد بكداش يقول : « صحيح أن اليهود ليسوا أمة ، ولكنهم شعب يستحق الحياة » إلى أن طلع عليه زعيمه جروميكو ، يعلن من على منابر الأمم المتحدة أن اليهود أمة[٨] ، فاصبحوا بين ليلة وضحاها خير أمة أخرجت للناس ، في مفهومه ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر . ويصف رفيق

(٨) اليهود ، كما أسلفنا ، لا يشكلون أمة ، ولا شعباً واحداً متجانساً ، وإنما هم جماعة دينية ، تدين بدين التوراة والتلمود . لقد عبر سوكولوف ، المنظر الشيوعي الروسي العقائدي ، وهو يهودي ، عن ذلك في كتابه « الصهيونية في التوراة » أصدق تعبير ، فقال : « وسواء إعتُبرت اليهودية ديناً أو أمة ، فانه لا يمكن فصل الدين اليهودي عن الطائفة اليهودية ، مالم تبرز إلى عالم الوجود توراة جديدة » .

لأنهم متقدمون على غيرهم كذلك في فهم أسرار الحياة وطبائع البشر ، ومتقدمون في فهم الحرية وتطبيق النظم الاشتراكية . .

رضا مثل هذا الانصياع الببغائي الذليل بقوله: « وكان قيادة الحزب الشيوعي في البلاد العربية متحمسة بمثل حماس بن غوريون لقيام الدولة اليهودية في فلسطين.. فإسرائيل، في نظرها، واحة من واحات الديمقرادية في صحراء الشرق الأدنى، والشعب اليهودي المشرد لابد وأن يلتقي في أرض الميعاد. ووجود إسرائيل، في عرف هذه الأحزاب، له مبرراته الإنسانية التي يجب أن تتخطى المبررات والوقائع القومية العنصرية الضيقة الافق! ولذلك انحازت إلى التقسيم جميع قيادات الأحزاب الشيوعية، منذ اليوم الأول لإعلانه، مترسمة بذلك خطى الدول الشيوعية، ومنسجمة مع الموقف الاستعماري الصهيوني، الذي اتفق معها لأول مرة في تاريخ هيئة الأمم المتحدة. لقد قوبلت خيانتها انذاك بسخط عارم، حتى لم تستطع الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي أن تعلن عن نفسها، وإلا ديست بالأقدام.. كل ذلك لتبعيتها الذليلة لموسكو، ولعدائها لكل ما هو عربي ».

إلا أن قيادات الأحزاب الشيوعية ما انفكت تجد لنفسها وللاتحاد السوفييتي المبررات المغلوطة.. فخالد بكداش مثلا صرح، عام ١٩٥٠م.، بقوله: « جاء من بين الهتافات التي رفعها رفاقنا هتاف: تسقط اسرائيل ربيبة الاستعمار والصهيونية. أنا لا أعتقد بأن هذا الشعور شعور صحيح.. فاذا كانت حكومة اسرائيل تسير في ركاب الاستعمار، فليس معنى

ذلك إسقاط اسرائيل كلها . فلا يمكن أن ننظر لإسرائيل كوحدة ، وإلا فاننا ننظر نظرة قومية ، لا نظرة طبقية ، ولا نظرة بروليتارية » . لتحيا اسرائيل إذن ، في عرف خالد بكداش ، ولتسقط الأمة العربية . ونحن بدورنا نسأل الرفيق خالد بكداش ، ومن لا يزالون مخدوعين بمزاعمه : هل تمرد اسرائيلي واحد ، أو شيوعي واحد في إسرائيل على حمل السلاح ، وتقتيل العرب في جميع الحروب العربية الاسرائيلية ؟ بل هل وقف واحد منهم يعلن يوماً سقوط اسرائيل ، ككيان عنصري عدائي ، حتى نفرق بين اسرائيل الحكومة واسرائيل الشعب ، ياسادة ياأفاضل ؟ ألا فلتخرس هذه الاصوات النشاز المنفرة . نحن لن نفرق بين يهودي داخل اسرائيل ويهودي خارجها . . فالكل يناصر اسرائيل ككيان عنصري عدواني ، والكل حمل السلاح ضد العرب ، والكل في الجريمة سواء . فهل القضية قضية مسميات ، وتلاعب بالالفاظ ، أم قضية مواقف ومبادىء ؟ فليعلن الشيوعيون ، داخل اسرائيل وخارجها ، أن الهجمة الصهيونية على ديار العرب في فلسطين هجمة استعمارية .

وليعملوا على محاربتها . . وعندها سيجدوننا نؤيدهم قلبا وقالبا . أما ان يبقوا على ماهم عليه ، يبثون الهزيمة ، ويحملون السلاح ، ويناصرون المعتدي . . فنحن أعداؤهم على طول الخط ، بلا تردد . وسنبقى كذلك إلى أن يحق الحق ، ويزهق الباطل

وباختصار ففي فلسطين عرب ويهود . . حق وباطل . . فكل من هو مع الباطل فهو استعماري صهيوني، وكل من هو مع الحق فهـــو وطني غيـــور مخلـــص . . مهما اختلفـــت الاسماء والمسميات . . ففلسطين تقول: ليس ابني من يشهر السلاح في وجهي، ويناصر اعدائي . والعروبة تقول: لن تُظل سمائي، ولن تحمل غبرائي، من يشرب مائي، ويتنفس هوائي، ويأكل من خيري . . ثم يجحد فضلي والإسلام يقول: أنا بريء ممن لا يجعل الحق جهادا ، والجهاد استشهادا .

هل هذه رجعية ؟ هل نحن رجعيون ؟ اللهم مزيدا مزيدا من الرجعية والرجعيين كان ذلك كذلك .

اليهود كلهم مجندون لخدمة أهداف الصهيونية الكبرى: وجود اسرائيل ووجوب حمايتها . وان كان هناك من خلاف بينهم فعلى الأساليب والأمور الشكلية الظاهرية التي لا تمس صميم الأهداف، ولا جوهرها . فالفرد ليلينتال مثلا ، كتب عشرات الكتب التي تؤيد في ظاهرها الحق العربي، وتشجب الباطل الاسرائيلي ، ولذلك عد المخدوعون باليهودية ان الفرد ليلينتال هذا ليس يهودياً صهيونيا ، وانه هو صديق للعرب . أما الحقيقة فإن ليلينتال هذا مغرق في صهيونية أكثر من هيرتزل ، نبي الصهيونية . . لأنك بعد أن تقرأ كل كتاب من كتبه تخرج بنتيجة واحده هي: ان اليهود دهاة، اقوياء، يستطيعون ان يقلبوا الحق باطلا والباطل حقا ، أين منهم العرب الضعفاء

المتفرقون . . الفرد ليلينتال هذا يحارب العرب بسلاح افتك من السلاح الذي بيـد الجيش الاسرائيلي . . انـه يحاربهم بسلاح الدعاية ، سلاح التيئيس : وبث الهزيمة . نحن لا نفرق بين يهودي ويهودي ، فكلهم صهاينة . . ولا نفرق بين شيوعي وشيوعي ، فكلهم يناصر الباطل المسلح . . كيف نستطيع ان نفرق بين فهد زعيم الحزب الشيـوعـي العـراقـي ، الذي أعلـن عقـب التقسيم مباشرة : « مرحبا بانشاء دولتين : عربية ويهودية في فلسطين » . وبين هنري كورييل ، زعيم حزب حدتو الشيوعي في مصر ، الذي صرح بان اسرائيل « مرحلة أعلى وأرقى من مرحلة البورجوازية الديمقـراطيـة ، في حين أن الدول العـربيـة تمثـل الاقطاع والرجعية » . وبين فؤاد نصار ، زعيم الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي اعتبر ان « الحرب الإسرائيلية اليهودية حرب استعمارية قذره » ، وبين ما اعلنه الرفيق غروميكو ، في أروقة هيئة الأمم المتحدة بان « اسرائيل ما وجدت الا لتبقى » . . كيف نستطيع ان نفرق بين هؤلاء جميعا على اختلاف منابتهم ؟ ولا عبرة بالشواذ الذين يعدون في اليهود والشيوعيين على رؤوس الاصابـع ، والذيـن تغيـب أصـواتهم في هـديـر الصهيـونيـة والشيوعية .

٨ ـ سياسة لا مبادىء :

الشيوعيون يحلو لهم دائما ان ينعتوا أنفسهم بانهم تقدميون ، وان غيرهم رجعيون ، بزعمهم أنهم باستخـدامهـم الاسلـوب

الماركسي الجدلي في تفسير التاريخ، أقدر من غيرهم على معرفة ما سيأتي به المستقبل والحقيقة فان الرجعية والتقدمية، التي تأخذ حيزا كبيرا، في الفكر الماركسي الشيوعي، إنما هي مواقف سياسية مرحلية، وليست مبادىء أساسية ثابتة.. فمن سار مع الشيوعيين اليوم من الأفراد والجماعات، مهما كانت منابته وعقيدته، فهو تقدمي، بل وتقدمي جدا. فاذا ما خالفهم غدا نقلوه إلى قائمة الرجعيين، الرجعيين جدا. فالحركات الإسلامية مثلا في عرف الشيوعيين حركات مغرقة في الرجعية لأنها تؤمن بإله ودين، فاذا ما تعاونت معهم في الانتخابات، أو في المواقف السياسية، اعتبروها تقدمية. وحكومة الامام أحمد حمد الدين في اليمن كانت في عرف الاتحاد السوفييتي حكومة تقدمية، لذلك كان يقدم لها العون المادي والأدبي، بينما يعتبر حكومة الصين الشيوعية الحالية حكومة رجعية، تستحق قطع الرقبة، لأنها تطالب بالأراضي التي انتزعها الاتحاد السوفييتي منها، وتخالفه في فهم الماركسية وتطبيقها.

والحرية تكون مطلبا شعبيا جماهيريا ملحا عندما يكون الشيوعيون مطاردين، أو مبعدين عن السلطة، فاذا ما أصبحت السلطة بايديهم، أضحت الحرية حلالا لهم، حراما على غيرهم. وليس عهد عبدالكريم قاسم، ومحكمة المهداوي، ومجازر الموصل في العراق عنا ببعيدة. ثم ما قصة دكتاتورية الطبقة العاملة هذه؟ وما هو مبرر وجودها بعد أن اصبحت الطبقة

العاملة، وهي اغلبية الشعب، في الحكم؟ إلا تكون الدكتاتورية عندئذ موجهة إلى جميع الشعب، وفي جملته الطبقة العاملة؟

دكتاتورية الطبقة العاملة ما تزال تحكم في روسيا، منذ اعلان ثورتها: الم يُقضَ على الاقطاع، والقيصرية، والرجعية، في روسيا بعد، أم ماذا؟ وما هو مبرر وجودها، بعد ان نسى الشعب الروسي: الاقطـاع، والقيصريـة، والرجعيـة معـا؟ ألا فليعذرنا الرفاق الشيوعيون، إن نحن نبهناهم إلى أن الدكتاتورية التي ينادون بها ليست دكتاتورية الطبقة العاملة، وإنما هي دكتاتورية الحزب الشيوعي الحاكم.. الحزب الذي قد حكم الشعب بمفاهيم ونظم تناقضت مع مفاهيمه ونظمه، وإلا لكان الحزب قد الغى الدكتاتورية من زمن بعيد، ولأجرى انتخابات نيابية حرة، ليست وقفا على أعضاء الحزب الشيوعي فحسب. ونحن لا ندري كيف يمكن أن يُوصل إلى الحرية والديمقراطية بالدكتاتورية؟ إلا أن تكون حرية أعضاء الحزب الشيوعي، وعبودية بقية أفراد الشعب، الذين سُلطت الدكتاتورية على رقابهم.

وبنفس المنطق المعوج هذا، ففلسطين ليست ملكا لاصحابها العرب الشرعيين، بل للصهاينة الغزاة الطامعين. والصهيونية ليست إلا حركة تحرير وطني، بينما حركة التحرير الوطني العربي حركة عنصرية عدائية، والثوار العرب الذين يدافعون عن حقهم ارهابيون، والسفاحون اليهـود دعـاة سلم، وتعـايش

سلمي.. وهكذا فالغاية تبرر الوسيلة، وكل مالا يقوم الواجب إلا به فهو واجب. لقد كتبت جريدة كول هاعام في صدر صفحاتها ما نصه(٩).

« قد لا يعرف الكثيرون أن الاتحاد السوفييتي لم يترك فرصة تمر إلا وأكد لأصدقائه من النظم والحركات الاشتراكية العربية أن التعايش السلمي بين العرب واسرائيل إنما هو جزء هام من سياسته، وأن تزويد موسكو للاشتراكيين العرب بالسلاح مقيد بهذا الاعتبار.. أي أنه ليس موجها ضد اسرائيل». ونحن هنا بدورنا نتساءل: اذا كان هذا السلاح ليس موجها ضد إسرائيل، فإلى صدرمن هو موجه إذن ياترى؟ ولماذا ندفع ثمنه من دمنا ورغيفنا؟

عمل الشيوعيين الاساسي في ديار العروبة هو ترويض العقل العربي وتدريبه على قبول اسرائيل كدولة، بالتفاوض والصلح، والتعايش السلمي معها. ولذلك فهم يتكلمون، اذا ما تكلموا، عن العدوان الإسرائيلي، ويغفلون او يتغافلون عن أي ذكر للحق العربي.

فهل من فرق بين الحل الشيوعي، والحل الاستعماري الصهيوني؟ لا فرق إلا في الوسيلة: الحل الشيوعي يستخد الدعاية العقائدية، ويقدم الرجال. والحل الاستعماري الصه يقدم المال والسلاح.. ذاك يدخل علينا بأيدولوجية وء

(٩) في حزيران، سنة ١٩٦٥م.

وهذا يدخل علينا بدبابة وطائرة .. وكلاهما يطلب وصلا بليلي .. الشرق يريد مياهنا الدافئة، والغرب يريد ذهبنا الأسود .. مع الغرب نبقى بدون فلسطين، ومع الشرق نذهب وتذهب معنا فلسطين . ومن الغريب أننا نسمع في الغرب احيانا بعض الأفراد أو المنظمات ترفع أصواتا، ولو وانية، تناصر حقنا في قضايانا، ولا نسمع ذلك في الشرق مطلقا .. لماذا ؟ لأن الشرق قد أعفى الناس من التفكير، فالحزب قد أراحهم من ذلك، وأخذ يفكر عنهم، منذ وجوده، و « قلة الفكر راحة » كما يقول المتعارفون . والحزب هو الذي ينطق باسمهم في الداخل والخارج، فلم تعب الاعصاب؟

علينا إذن، إذا كنا عقلاء مسالمين، أن ننسى فلسطين، وأن ننسى أننا عرب مسلمون، وأن نسبح بحمد ماركس والماركسية، ولينين واللينينية، وأن نستجيب لنداءات وتوجيهات الأحزاب الشيوعية عندنا .. حتى نفوز ببركات موسكو والشيوعيين . أما الحل فإنه ياتي بعد ذلك تلقائيا، بعد أن يزول الاستعمار، ويُقضى على الرجعية، ويصبغ العرب سمرة وجوههم باللون الأحمر .. الحل يأتي بعد ذلك تلقائيا من نفسه .. اما اليهود فانهم شعب مسكين مسالم مضطهد، يستحق العون والمساعدة . وأما الصهيونية فانها حركة تحرير وطني، لوطن كان يحتله العرب ويستعمرونه منذ عشرين قرنا، والآن جاءه أبناؤه يستخلصونه منهم، ويقيمون فيه مشعلاً حضارياً،

سينير الشرق بنوره اللألاء .

منطق . . أجل منطق . ولكنه منطق مع وجود المفارقة ، كما يفول المناطقة .

منطق أعوج منحرف ، لا ولن يستقيم الا بزنود الثوار السمر ، ينزلون على هـؤلاء جميعـا نـزول القـدر ، ويجتثـونهم اجتثاث الورم الخبيث .

٩ ـ نحن وروسيا :

فاذا كان ذلك كذلك ، فما هو موقفنا إذن من روسيا والدول الاشتراكية ؟ وما هو موقفنا ايضا من ماركس والماركسية ؟

روسيا إحدى الدول الكبرى في العالم ، بل انها احدى الدولتين الكبريين ، وهي لذلك تساهم في احداث العالم وتقرير مصيره ، ولا غنى لنا ، أو لأي دولة من دول العالم ، عن التعامل معها ، ولكن على أساس تبادل المنـافـع والمصـالـح ، وتنسيـق المواقف العالمية معها . أما أن تكون روسيا قبلتنا ، نخطىء معها اذا أخطأت ، ونصيب اذا أصابت ، ونوجه أشرعتنا أنى اشارت بوصلتها ، فهذه تبعية ذليلة ، لا نرضاها لأمتنا ، ولا لأي فرد من أفراد شعبنا . تعاملنا مع روسيا يجب ان يكون تعاملا سياسيا ، وليس عقائدياً ، تعاملاً تكتيكياً وليس استراتيجياً . ثم ان لروسيا تجربة اشتراكية تعتمد على جانبين : جانب عقائدي بما يعرف بالماركسية ، وجانب تطبيقي بما يعرف باللينينية اما

الماركسية فهي كما أسلفنا ، وكما سيأتي ذلك في الفصل القادم ، فانها تعتمد على الفسلفة المادية الجدلية ، وهذه تتناقض مع ديننا الإسلامي الحنيف ، لأنها تنكر وجود الله وتنكر جميع الديانات ، وتنكر المبادىء والقيم والمثل العليا ، لذلك فاننا ننكرها جملة وتفصيلا . واما اللينينية فانها تجربة انسانية ، كبقية التجارب الانسانية الأخرى ، يمكن أن نأخذ منها ، ونحن في مرحلة التطور الحاليه ما يوافق أوضاعنا وظروفنا ، ولا يتناقض مع ديننا وتراثنا . . كأي تجربة إنسانية أخرى ، اذا كان فيها ما نحتاجه ، ولا وجود لبديل عندنا منه . ألم نأخذ من اليونان والرومان والفرس والهنود ؟

نحن لسنا ضد أحد ، حتى اليهود ، الا أن يكونوا ضدنا ، وضد أنفسهم . . وهذا هو تاريخنا شاهد على ذلك . . نحن لم نبدع ، منذ ان بدأنا نبدع ، شيئا إلا واشركنا العالم معنا ، للتمتع والاستفادة بهذا الابداع . . نحن ، ولا فخر ، قدمنا للعالم الرقم والحرف ، وعلمناه كيف يصهر المعدن ، ويجوب البحار . . نحن قدمنا للعالم عقيدته السماوية ، وأسس حضارته التي نعم وينعم بها . . ونحن ، نحن دعاة خير وحق ، وانصار عدل وسلام . . روسيا أهلا بها وسهلاً ، حين تنطلق من مبدأ الحق والعدل . . وأمريكا كذلك أهلا وسهلاً بها ، حين تنطلق من مبدأ الحق والعدل كذلك . أما ألا ترى روسيا فينا إلا أبواق دعوة ودعاية ، ومياها دافئة ، وحزام أمن وأمان . . أما ألا ترى أمريكا

فينا إلا بترولا ، وأرصدة، وجسر عبور.. فلا وألف لا ، فالموت أهون علينا من أن نئد حريتنا ، ونتاجر بكرامتنا ، ونعيش عيش الذل والمهانة، صدى لا صوتا ، وتبعية لا ارادة حرة . . ذلك أكرم لنا ولغيرنا ، إذا كنا نسير في بناء عالم جديد : الإنسانية فيه فوق الإنسان، والعقيدة فيه تعلو على المادة . . عالم يقدس الحق ، ويتغنى بالحرية ، ويسعى إلى الرفه والسلام، الناس فيه سواسية كأسنان مشط، لا فضل فيه لإنسان على آخر إلا بما قدمت يداه من خير . .

ونحن في هذا نقول مع القائل :

اذا فقدت المال فقد فقدت شيئاً ،
واذا فقدت الأرض فقد فقدت شيئاً عظيماً ،
أما اذا فقدت الكرامة فقد فقدت كل شيء .
ونحن غير مستعدين أن نفقد كل شيء . .

الفصل الثالث

أضواء على الماركسية

١ ـ جذور الماركسية
٢ ـ عناق ماركسي صهيوني
٣ ـ الشيوعية والاشتراكية
٤ ـ انتشار الشيوعية
٥ ـ دعائم الماركسية
٦ ـ تقييم الماركسية
٧ ـ تلاميذ نجباء

١ ـ جذور الماركسية:

الماركسية فلسفة للتاريخ، ونظام للحياة، تنسب إلى الفيلسوف الألماني الجنسية كارل ماركس، حفيد الحاخام مردخاي ماركس. اعتنق والد كارل ماركس المسيحية، سنة ١٨٢٤م.، ظاهرياً، هرباً من الاضطهاد الذي كان يتعرض له اليهود آنذاك في شرق أوروبا. ولد ماركس سنة ١٨١٨م. وتوفي سنة ١٨٨٢م[١]

ليس عندنا من دليل مادي ملموس يثبت أن ماركس عبر عن اليهودية بنظريته الماركسية أقوى من النظرية الماركسية ذاتها.. فقد عبر بمعاداة اليهودية للأديان بإعلانه في الماركسية أن «الدين أفيون الشعوب». وعبر عن معاداة اليهودية للأقوام والأوطان بإعلانه في الماركسية أن «العامل لا وطن له» وعبر عن معاداة اليهودية للأغيار بتبني الماركسية «الصراع الطبقي» كما عبر بالاممية والعالمية عن حاجة اليهود إلى تهديم جدران الغيتو المضروب حولهم، والخروج إلى العالم، يعيثون فيه فساداً وإفساداً. أما «المادية الجدلية» فليست إلا المادية اليهودية التي اعتدت على الذات الإلهية والانبياء والرسل والكتب السماوية، وتنكرت لليوم الآخر، ولم تقم وزناً للقيم والمثل والأخلاق، لأن الحياة عندها ذهب، وجنس، ومتع حسيه.

لقد أخذ ماركس الجدلية عن الفيلسوف الألماني هيجل،

---

(١) العلاقات الشيوعية الصهيونية، نهاد الغادري، ص١٣.

محتفظاً منها بنواتها الفكرية، طارحاً منها قشرتها المثالية، على حد تعبيره، رافقاً بذلك لواء المادية، وحتى المادية فقد أخذها هي الأخرى عن الفيلسوف الألماني فيوربارخ، بعد أن عدلها لتلائم أراءه في المادية الجدلية. وتأثر ماركس في اشتراكيته بالإشتراكي الفرنسي برودون وغيره من الإشتراكيين الفرنسيين والإنجليز. كما أخذ عن موشي هيس ـ أستاذه وأستاذ هيرتزل ـ أسلوب تفكيره بحسب اعترافه[٢] وهكذا فالنظرية الماركسية، بشقيها النظري والتطبيقي، ليست إلا تجميعاً لعدة فلسفات ونظم كانت شائعة بين المثقفين، في زمن ماركس وقبله، وليس لماركس فيها إلا الجمع والأسلوب، ونظرية فائض القيمة.

٢ ـ عناق ماركسي صهيوني:

اتصل كارل ماركس بفيلسوف الصهيونية، موشي هيس، سنة ١٨٦٢م.، وعنه أخذ أسلوبه وكثيراً من أفكاره. لقد اعترف ماركس بفضل هيس عليه بقوله: «لقد أخذت من هذا العبقري مثالاً لي وقدوة، لما يتحلى به من دقة التفكير، واتفاق آرائه مع عقيدتي.. إنه رجل ثوري الفكر والسلوك». وهيس هذا هو صاحب كتاب «الدولة اليهودية» الذي تأثر به هيرتزل إلى حد كبير، ولم يزد في كتابه الخامس به الذي سماه «الدولة اليهودية» أيضاً، على كتاب هيس شيئاً يذكر، سوى ان شرحه وبسطه، وأقام عليه الحركة الصهيونية، التي ساعدت على إلصاق

(٢) المصدر السابق، ص ١٨

الكتاب بهيرتزل وليس بصاحبه الأصلي هيس . . تماماً كما فعل لينين بالماركسية حين شرحها وبسطها ، وبنى عليها الحركة الشيوعية . وهكذا فإن هيس يعتبر أستاذاً لماركس وهيرتزل معاً . فمن أفكاره وآرائه استقى الرجلان الكثير الكثير .

ونحن لسنا هنا بصدد البحث في الماركسية ، فكراً وعملاً ، وذكر مالها وما عليها ، فذلك ما تكفلت به الكتب الكثيرة المتخصصة ، وإنما نحن بصدد مسار الشيوعية الدولية بين الناس ، لنتبين مسارها ، ومسار القوة الخفية في أعطافها وثناياها . ومع هذا فلا بد لنا من عودة قصيرة إلى هذا ، في آخر الفصل ، لتكتمل الصورة ، وتستبين بعض معالم الطريق .

٣ ـ الشيوعية والاشتراكية :

قسم ماركس ، في سرده لتاريخ تطور البشرية ، تاريخ البشرية ، إلى ست مراحل أساسية ، هي :

١ ـ مرحلة المشاعية البدائية . . وفيها كان الإنسان يعيش في الغابة ، كما تعيش الحيوانات والوحوش ، بلا بيت ، ولا أسرة ، ولا مجتمع من أي نوع كان ، ولا نظام ، ولا قانون . . فكل شيء كان مشاعاً بين الناس .

٢ ـ مرحلة الرق . . وفيها تكونت القبيلة بتأثير تدجين الحيوان ، ونشأت بعض العلاقات الإجتماعية ، والصناعات اليدوية البدائية . وفي هذه المرحلة انقسم الناس إلى أسياد وعبيد .

٣ ـ مرحلة الإقطاع . . وفيها نشأت العائلة بتأثير الزراعة، وتنامت العلاقات الإجتماعية والصناعات اليدوية . وفي هذه المرحلة ظهرت القرى والمدن، وبظهورها وضعت القوانين التي تنظم علاقة الإنسان بالأرض، وعلاقة الإنسان بالإنسان . كما ظهرت الحكومات والسلطات المحلية الإقطاعية . . وبذلك انقسم المجتمع إلى أسياد وأقنان .

٤ ـ مرحلة الرأسمالية . . وفيها نشأت الأسرة، والقومية، والحكومات المركزية، والقوانين التي تنظم الإنسان بالآلة والإنتاج . وفي هذه المرحلة انقسم المجتمع إلى رأسماليين وعمال .

٥ ـ مرحلة الإشتراكية . . وفيها تلغى ملكية وسائل الانتاج الزراعي والصناعي (الأرض والمصانع) الخاصة، وتزول الطبقية، بحيث يتملك الفلاحون الأرض، ويتملك العمال المصانع، وتصبح الأرض لمن يفلحها، والسلعة لمن ينتجها . وفي هذه المرحلة يحكم بدكتاتورية الطبقة العاملة . وشعار هذه المرحلة : « من كل حسب طاقته، ولكل حسب عمله » .

٦ ـ مرحلة الشيوعية . . وفيها، بحسب تقدير ماركس، تزول الحكومة، وتتلاشى الأسرة، وتنحل القوميات والأديان . ويكون شعار هذه المرحلة : « من كل حسب طاقته،

ولكل حسب حاجته » .

وبناء على هذا التقسيم فليس في العالم إذن اليوم دولة شيوعية واحدة ، ولا حزب شيوعي واحد ، بل إنها جميعاً دول وأحزاب اشتراكيه . وحين يطلق اليوم على الدول الإشتراكية اسم الدول الشيوعية ، وعلى الاحزاب الإشتراكية اسم الأحزاب الشيوعية ، فإنما لتمييزها عن دول وأحزاب تؤمن بالإشتراكية ، ولكنها لا تتبنى الماركسية ، أو تتبناها مع اشتراكيات أخرى ، الماركسية إحداها . وحين يتكلم من يسمون بالشيوعيين اليوم عن الشيوعية ، فإنما يتكلمون عن مرحلة نظرية ، لما تطبق بعد ، ولم ترد إلا في خيال ماركس .

والرأي السائد اليوم ، عند كثير من الفلاسفة والمفكرين وعلماء الإجتماع ، وبخاصة بعد تطبيق الماركسية في كثير من دول العالم ، بأن مرحلة الشيوعية ، بمواصفات ماركس ، لن تحدث قط في حياة العالم ، لأنها تخالف الطبيعة البشرية ، القائمة على الدوافع والحوافز الفردية بالدرجة الأولى إذ لو حاولنا أن نلغي مثل هذه الحوافز لقعدنا بالإنسان عن الخلق والإبداع وزيادة الإنتاج . ثم لا يمكن الارتداد بالتجمعات البشرية التي تطورت من قبيلة ، إلى عائلة ، إلى أسرة ، إلى شعب وقوم ، إلى المشاعية ثانية . كما أنه لا يمكن النكوص بالحكم الديمقراطي النيابي إلى فوضى سائبة ، ولا بعبادة الله إلى وثنية المادة .

٤ ـ انتشار الماركسية:

لم يقدر لفلسفة من الفلسفات، ولا لمبدأ من المبادىء، أن يكون لــه نفس الأثر وسرعة الانتشار الذي كان للفسلفة والمبادىء الماركسية.. فقد آمن بها، خلال قرن واحد من الزمن، أكثر من نصف سكان المعمورة. لقد قامت عليها دول، وتبنتها أحزاب، وتحرك بها ثوار، وتسللت إلى عقول الناس وأفهامهم، حتى أصبح لها في نفوس البعض قدسية، دونها قدسية الديانات. ويرجع ذلك كله إلى:

١ ـ أن الماركسية فلسفة متكاملة.. أعطت تفسيراً متكاملاً للكون والإنسان والحياة، فكان لها بذلك نفس الأثر الذي تركته الديانات في نفوس معتنقيها.

٢ ـ جاءت الماركسية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، والتنافس الصناعي والاستعماري على أشده في أوروبا، فأعلنت أن «الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية»، فبزوال الرأسمالية يزول استغلال الرأسماليين للعمال، وينحسر ظل الاستعمار عن المستعمرات، فينتفي بذلك الاستغلال والاستذلال معاً، ويتولى العمال الحكم، ويستقل شعوب المستعمرات بأنفسهم، ويعيش الجميع، كما ذكرت الماركسية، في عالم متحاب متجانس، ينتفي فيه الاستغلال والاستعباد والحروب، وتعمه السعادة والرخاء والسلام..

٣ ـ وقامت ثورة أكتوبر الروسية، سنة ١٩١٧م.، بزعامة لينين، على أكتاف الماركسية. وبقيامها أعطت زخماً للأحزاب الشيوعية في العالم لتتقوى بها. وجاءت الحرب العالمية الثانية، فساعدت على ظهور الدول الشيوعية في شرق أوروبا، المتاخمة للاتحاد السوفييتي، كما ساعدت على دخول الصين، بزعامة ماوتسي تونج، نفس التجربة والمسار. وهذا كله ساعد على انتشار الماركسية وتقويتها.

٤ ـ ومما ساعد على سرعة انتشارها أيضاً أنها جاءت والساحة خالية.. فالدين المسيحي، حيث باضت الماركسية وفرخت، دين يهتم بملكوت السماء، ولا يهتم بمشاكل الأرض. والدين اليهودي دين ملأه أتباعه بعقدهم، واحتكروه بجشعهم، ونأوا به عن الناس، زاعمين أنهم شعب الله المختار. أما الدين الإسلامي، فكان هو الآخر يغط به أهله في سبات عميق. أما الديانات الأخرى في الهند والصين وبلدان الشرق الأقصى بعامة، فانها غير جديرة بأن تملأ الفراغ الحائر، مادام فيها من لايزال يقدس البقرة، ويركع للشمس.. لقد كانت التربة العالمية مهيأة لرذاذ الماركسية، في عالم ملبد بالغيوم، تلك التي تبرق استغلالاً، وترعد استعماراً، ولا تمطر إلا مصائب، فوجدت في الماركسية دواءها وشفاءها، فأغذت السير إليها.

٥ ـ وكذلك فإن الماركسية جاءت الناس في زمن كانت فيه القيم الروحية مهزومة ومتقهقره أمام القوى المادية . . فالذهب كان إله العصر الجديد، والعلم التجريبي كان قد أطل برأسه، كاسحاً في طريقة كل مالا يقع تحت حس، ولا يخضع لتجربة، ولا ينتظمه قانون أو نظرية . . فلم تجد المادية الجدلية حرجاً في أن تحتل مكانتها اللائقة بها في الصدارة، حين لم تجد أحداً من المعترضين، بـل إنها على العكس من ذلك، فقد وجدت الكل مرحباً هاتفاً. وتضافرت هذه العوامل مجتمعة، لتجعل من الماركسية دين العصر الجديد لمعتنقيها . ومع أن الماركسية قد فقدت كثيرا من بريقها القديم الأخاذ، بعد أن سقطت كثير من أعمدتها النظرية بالتطبيق العملي، وبعد أن أنقسم المعسكر الشيوعي بالماركسية إلى مدارس واتجاهات، تكيل التهم لبعضها، إلا أنه لا يزال كثير من الناس، على المستويين الرسمي والشعبي يؤمنون بها، ويتدارسونها، ويتخذون منها منهجاً وأسلوباً في الحياة.

٥ ـ دعائم الماركسية:

والماركسية تقوم في الأصل على دعامتين: الدعامة الأولى قولها بأن المادة هل الأصل . . فهي البداية والنهاية، وهي الأصل والصورة. والدعامة الثانية قولها بالدايلكيتك (الجدل) . ولهذا عرفت الفلسفة الماركسية بالفلسفة المادية الجدلية . .

يرى ماركس أن الكون مادي الوجود، وجد بذاته ولذاته عرضاً، منذ الأزل، وسيبقى كذلك إلى الأبد، لأن المادة، لا تفنى، ولا تستحدث من العدم، وإنما تتطور وتتحول، ضمن قوانين ذاتية ثابتة موجودة في طبيعتها . . بمعنى عدم وجود قوة أخرى خارج المادة أوجدتها، أو لها أدنى علاقة أو إرادة في ايجادها، أو بقائها، أو إفنائها . وماركس، بالإضافة إلى ذلك، يرى أن المادة هي التي خلقت الفكر وأوجدته في تطورها الذاتي الصاعد، من البسيط إلى المركب، ومن الحسن إلى الأحسن، هكذا بالمصادفة، بدون تخطيط، أو فكر، أو إرادة مسبقة .

ومن هذا نرى بأن الماركسية:

١ ـ لا تؤمن بفكرة وجود إله، خالق هذا الكون ومدبره، بل إنها تسخر من هذه الفكرة، وتعتبرها فكرة خيالية، مغرقة في السذاجة، ولا تليق بانسان العصر المتحضر، الذي لا يؤمن إلا بالتجربة والحس والتطور .

٢ ـ وهي لا تؤمن بالديانات كذلك، وتعتبرها، بدون استثناء، أفيوناً ومخدراً، تصرف الناس عن النظر في مآسيهم والتمتع بخيرات الأرض إلى النظر في الأوهام والتمتع بنعيم الآخرة، والاستسلام للأمر الواقع بالقضاء والقدر، بدلاً من الثورة على الظلم والظالمين، لأن الماركسية تزعم أن الديانات كلها قد فلسفت الفقر والبؤس والظلم، ففتحت بذلك الباب على مصراعيه

للطغاة والمتجبرين لأن يمتطوا متونها، ويستغلوا نصوصها، بالتأويل تارة، وبالتحريف تارة أخرى، مستغلين بذلك غفلة الناس وسذاجتهم.

٣ ـ وتجعل الماركسية للمادة الجامدة المهوشة عقلاً ومنطقاً، عندما تزعم أنها هي التي حركت نفسها من بعد سكون، ودبرت أمرها من غير إرادة، وطورت نفسها من غير تخطيط مسبق.. وماركس عندما صاح: «أنا موجود، إذن أنا أفكر» إنما آمن بأولوية المادة، وأسبقيتها على الفكر والنفس والروح أيضاً.

٤ ـ والماركسية تعلن أن «كل محسوس موجود» ولهذا فقوى الغيب، في عرفها، والحقائق التي لم يقم الدليل الحسّي عليها، بالملاحظة والتجربة، إنما هي قوى وحقائق في فراغ، لا تدخل في حساباتها، إلا ضمن أطرها الحسية الملموسة المحسوسة.. ولهذا فهي لا تؤمن بالمثل، ولا بالقيم العليا.

أما الجدل، الدعامة الأساسية الثانية للماركسية، الذي فسر به ماركس تطور التاريخ في مراحله الست، كما فسر به تكوّن المجتمعات البشرية، بما فيها من نظم وقوانين وقيم، فلماركس فيه رأي يختلف عن آراء كل من سبقه إليه من الفلاسفة والمفكرين. لقد عرف الجدل كثير من فلاسفة اليونان والرومان، وسقراط على رأسهم. وعرفه كثير من فلاسفة

أوروبا المحدثين، وعلى رأسهم هيجل.. عرفوه بشكل جدل فكري، مؤداه أن الحقيقة إذا زاوجت حقيقة أخرى، فقد يتولد من هذا التزاوج وحقيقة ثالثه وأن كل حقيقة في الكون إنما هي نتيجة لما قبلها وسبب لما بعدها. أما ماركس فلم يعرف الجدل إلا بشكله المادي، بمعنى أن التطور أو التغير الذي يحدث في المادة، سواء كانت مادة جامدة أو حية، إنما ينتج من تراكم التغييرات الجزئية الكمية فيها ـ ضمن ظروف داخلية وخارجية خاصة، تختلف باختلاف المواد ـ إلى تغيرات كيفية، عندما يبلغ التطور الكمي نقطة حرجة.. فالماء الذي يوضع على النار مثلاً، تتراكم فيه التغييرات الجزئية الكمية بارتفاع درجة الحرارة، حتى يبلغ نقطة حرجة عند درجة الغليان، حيث يتحول فجأة من حالة السيولة إلى الحالة الغازية، وهذا تحول كيفي. وكذلك البيضة التي توضع تحت الدجاجة، أو في حاضنة بيض، تتراكم التغيرات الجزئية الكمية بالحرارة، حتى تبلغ نقطة حرجة بعد ٢١ يوماً، حيث تتحول البيضة فجأة إلى فرخ، يكسر جدرانها بثورة، ويخرج إلى الحياة، وهذا تحول كيفي. وقل مثل ذلك في تحول البذرة إلى نبتة أو شجرة. وفي التقاء حونية الذكر ببويضة الأنثى، وتحولها إلى وليد، وهكذا.

وماركس يؤمن بأن كل تغير أو تطور يحدث في المادة، من الكم إلى الكيف، لا بد وأن يصطرع فيها النقيضان: الايجاب والسلب، كما دعاهما.. ففي حالة البيضة، في المثال السابق،

تصطرع الخلية الحية فيها، وهي عنصر الإيجاب، مع الغذاء الاحتياطي، وهو عنصر السلب، فيبني الإيجاب نفسه، بمساعدة الحرارة، تدريجياً من السلب، ويتكون الفرخ. وقل مثل ذلك في البذرة، وفي التقاء الحونية المنوية الذكرية الموجبة مع بويضة الأنثى السالبة، وهكذا.. فنقيض النقيض عند ماركس يكون نقيضاً ثالثاً، مغايراً للنقيضين اللذين تكون منهما كما وكيفاً.

وينقل ماركس هذه الصور في التغير والتطور إلى المجتمع، والثورات والانقلابات التي تحدث فيه.. فظلم الاسياد تراكم كمياً في مجتمع العبيد، فقامت ثورة العبيد على الأسياد، وانتقل المجتمع بذلك إلى الاقطاع. وظلم الأسياد تراكم كمياً في الإقطاع، فقامت ثورة الأقنان على الأسياد، وانتقل المجتمع بذلك إلى الرأسمالية. وظلم الرأسماليين تراكم كمياً في المجتمع الرأسمالي، فقامت ثورة العمال على الرأسماليين، وانتقل المجتمع بذلك إلى الاشتراكيه.. وهذه الثورات كلها، في عرف ماركس، نقلت المجتمعات من كم متخلف، إلى كيف متطور صاعد. وحين جاء ماركس إلى مرحلة الشيوعية، توقفت به نظريته، ولم تسعفه بتطور الكم بالثورة إلى كيف، فلم يزد سوى أن قال: إن ذلك يحدث بدون ثورة، لأن الطبقية تكون قد زالت في مرحلة الإشتراكية، وبزوالها زال الصراع الطبقي، وانتفت بذلك الأنانية والفردية في مجتمع ذاق حلاوة الاشتراكية، وتوارى الخوف من الغد إلى الأبد، فلم إذن

استحواذ وادخار أشياء نستطيع أن نحصل عليها متى نشاء؟

لقد أقام ماركس نظريته الماركسية على دعائم رئيسية، نجملها فيما يلي:

١ ـ أن العامل المادي هو العامل الأساسي في جميع الظواهر الكونية والتغيرات الحياتية والإجتماعية، وأن جميع العوامل الأخرى، من فكر ونظم وقيم وقوانين وأخلاق.. إنما هي، بالنسبة له، عوامل فرعية ثانوية تابعة له، أو منبثقة عنه.

٢ ـ وأن التغيرات والتحولات التي تحدث لها صفة الحتم. إذا ما توفرت لها الظروف الداخلية والخارجية الملائمة، وأنها تحدث فجأة بثورة، وتنتقل من حالة الكم إلى حالة الكيف عند النقطة الحرجة. وبذلك ألغى ماركس الإرادتين: الإرادة الإلهية، والإرادة البشرية، واعتبر الإنسان قشة طافية على تيار الأحداث والظروف.

٣ ـ وأن الإنسان ـ خلال صراعه مع الطبيعة، للبحث عن عيشه وأمنه ـ أخذ يطور وسائل الإنتاج ويتطور بها. وهو يذهب إلى أن من يمتلك وسائل الانتاج، في أية مرحلة من مراحل التاريخ ـ القطيع في عصر العبودية، والأرض في عصر الإقطاع، والمصنع في عصر الرأسمالية ـ يمتلك كل شيء حتى حريات الناس وأقدارهم.. فألغى بذلك الحوافز الروحية، والمبادرات الذاتية.

٤ ـ وهو يرى أيضاً أن كل مرحلة من مراحل التاريخ كانت لما سبقها من مراحل، وأنها أرقى منها كماً وكيفاً، وبناء على ذلك فإن البشرية بمجموعها تسير نحو الأفضل، في خط بياني حلزوني صاعد، بالرغم من عثرات مرضية، ونكسات محلية قد تحدث أحياناً هنا، وأحياناً هناك، توقف ركب البشرية أو بعضه عن التقدم، ولكنها لا ترتد به إلى الوراء، أو تتوقف به عن السير الحثيث إلى وجهته.

٥ ـ أن الطبقات والصراع الطبقي قد نشأ بنشوء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج. وأن الأديان والأقوام والحكومات، وما يندرج تحتها من عقائد ومبادىء وقوانين ونظم وقيم.. ليست الإ مظاهر عرضية لتلك المجتمعات الطبقيه، وأنها ستزول وتتلاشى بتلاشي الطبقية والاستغلال الطبقي في المجتمع الشيوعي، الذي ستختفي فيه الأديان، والقوميات، والحكومات، والأسرة، وكل ما هو متعارف عليه من نظم وقوانين وقيم تقليدية. وبهذا ارتد ماركس إلى المثالية، بعد أن حاربها حرباً لا هوادة فيها.

٦ ـ تقييم الماركسية:

في الماركسية، ولا شك، جوانب علمية وأخرى منهجية تستحق الملاحظة والتقدير.. فقد شخصت أمراض المجتمع الرأسمالي الغربي تشخيصاً دقيقاً، ونبهت العمال داخله، وشعوب

المستعمرات خارجه إلى بشاعة الجرم الذي يقترفه الرأسماليون بحق هؤلاء وأولئك. لقد بينت نظرية فائض القيمة أن هدف الرأسماليين من الإنتاج هو الربح، وأنهم في سبيل ذلك يستقطرون عرق العمال، وينهبون خيرات المستعمرات، ويعطلون أو يدمرون الإنتاج في الأزمات الإقتصادية.. وذلك كله بسبب فائض القيمة[3] الذي يقتطعه الرأسماليون أثمان السلع التي طرحونها للبيع في السوق المحلية، وفي أسواق المستعمرات. فائض القيمة هذا يتراكم في الأسواق بشكل سلع مطروحة للبيع، وأثمانها ليست بأيدي منتجيها، وإنما هي نقد مجمد في خزائن الرأسماليين، أصحابها الحقيقيين.. بمعنى أن صاحب السلعة هو من بيده المال. وعندها يحدث كساد في السوق المحلية، لأن السلع تملأ الأسواق ولا من مشترٍ. وحينئذ يلجأ الرأسماليون، في سبيل تصريف البضائع الكاسدة وتشغيل المصانع، إلى تخفيض الأسعار، أو إهلاك بعض الإنتاج، فيقل بذلك دخلهم. ولذلك فإنهم يلجأون إلى تخفيض الأجور، أو زيادة ساعات العمل، أو الإثنين معاً، في سبيل المحافظة على مستوى معين من الربح.. إلا أن مثل هذه الأساليب قد تفيد في بعض الحالات مؤقتاً، لأن تخفيض الأجور يعني تخفيض القوة

(٣) فائض القيمة هو الفرق بين سعر السلعة وقيمتها. لقد حدد ماركس قيمة السلعة بمقدار الجهد الذي بذل في إنتاجها، وهو بالطبع أقل من السعر الذي تباع فيه السلعة في الأسواق عادة، في مجتمعات الاقتصاد الحر، التي لم تؤمم التجارة، وتحدد أسعار السلع.

الشرائية عند العمال، وزيادة الإنتاج يعني زيادة فائض القيمة، وزيادة كساد البضائع في الأسواق. وعندها تحدث الأزمة.. فالعمال مفلسون، والبضائع كاسدة، ولذلك يلجأ الرأسماليون إلى الاستغناء عن العمال جزئياً أو كلياً، وكل ذلك يضعف من القوة الشرائية، ويزيد في تكديس البضائع الكاسدة.. فلا يجد الرأسماليون إلا الحرب الإستعمارية، يتخلصون بها من مضايقات العمال، الذين أخذوا يهددون المصانع بالدماء، ويهددون السلع بالنهب والإحراق، وكذلك فإنهم يفتحون بالحرب أسواقاً جديدة في المستعمرات، يصرفون فيها فائض القيمة في الأسواق المحلية. هذا من جهة، وأما من جهة أخرى، فإنهم يجدون في أسواق المستعمرات من المواد الخام ما يساعد على تشغيل مصانعهم، وإطعام عمالهم، بأرخص الأسعار[٤]. وهكذا ربطت نظرية فائض القيمة بين التطور الرأسمالي الإمبريالي وبين الاستعمار. وهكذا قرر ماركس أن الاستعمار ينتفي بالإشتراكية، إذ لا فائض قيمة في الإنتاج الإشتراكي، لأن قيمة السلع المنتجة تتطابق مع أسعارها في السوق، فكلما زاد الإنتاج، زاد دخل المنتجين، وزادات الرفاهية والقوة الشرائية لديهم.

وفي الماركسية جوانب أخرى ايجابية.. ففيها منهجها

---

(٤) إلا أن الرأسماليين، حين يدقون طبول الحرب الإستعمارية، يتظاهرون بأنهم إنما يفعلون ذلك للمحافظة على أمجاد امبراطورياتهم، ونشر الفضيلة والدين والحضارة بين شعوب المستعمرات المتخلفة..

الجدلي في تفسير الظواهر والأشياء، وهو منهج منطقي سليم. ومما يؤخذ على ماركس في هذا المنهج أنه حصره بالعامل المادي، وحمله مالا يحتمل من شروح واستنتاجات. وفيها أيضاً تحليل دقيق للثورات، أسباباً ونتائج. وفيها، أخيراً وليس آخراً، تتبع الرأسمالية، منذ أن كان الرأسمال صناعة ناشئة، حتى أصبح رأسمالا إمبريالياً، التهمت فيه المصانع الكبيرة المصانع الصغيرة، بشكل تروستات وكارتيلات احتكارية، تتحكم في المال والمصنع والعمال والمستعمرات والإنتاج..

وماركس، في كل ما كتب وقال، كان يظهر عطفاً على المظلومين والمستغلين، وحرباً على المضطهدين والمستعمرين.. ومن هنا تابعه هؤلاء وأضرابهم متابعة حثيثة صادقة، في عالم مستغل مستذل مضطهد.. ومن هنا جاءت سرعة انتشار النظرية الماركسية، بالدرجة الأولى.

هذا باختصار أهم ما للماركسية، أما ما عليها فيمكن إجماله بما يلي:

١ ـ الماركسية، كما أسلفنا، تؤمن بأسبقية وأفضلية، المادة على الفكر والنفس والروح.. ولهذا فهي تنكر وجود الله، وتتنكر لجميع الأديان، وتجعل للمادة الجامدة إرادة وفكراً، منكرة بذلك قانون السببية الذي هو قانون علمي.. فكيف يعقل أن هذا الكون، بما فيه ومن فيه، قد وجد بنفسه ولنفسه هكذا عرضاً، وأنه يدبر أموره

بنسفه؟ وكذلك فإن الماركسية تزعم أن الدين، الذي يحض على الحق والخير والعدل، مخدر رجعي.

٢ ـ حددت الماركسية بداية وجود الكون بالأزل، كما حددت نهايته بالأبد. والأزل والأبد نقطتان غير محددتين.. فكيف يمكن أن يحدد بهما كون محدود بالزمان والمكان؟

٣ ـ زعمت الماركسية أن نشوء القومية كان ضرورة اقتصادية، اقتضاها تطور الرأسمالية، وستذوب بانتقال المجتمع إلى المرحلة الشيوعية. ومما يثبت خطل هذا الزعم أن القومية قد تأصلت في الاتحاد السوفييتي وجميع الدول الاشتراكية التي تدين بالماركسية، بالماركسية ذاتها. وكذلك فإن الأحزاب الشيوعية في العالم تقوم على أساس قومي، وأن المنازعات تنشأ بينها بسبب المطامع القومية والوطنية بأكثر مما تنشأ بالخلافات العقائدية وما نزاع الصين مع الاتحاد السوفييتي الأصل إلا نزاع على الحدود الإقليمية. وما نزاع الاتحاد السوفييتي مع دول المعسكر الشرقي إلا نزاع قومي.

٤ ـ وزعمت كذلك أن الأسرة ستذوب بالشيوعية. وكيف للاسرة، التي تجمع ذكراً بأنثى بأولاد بعواطف خيرة، أن تذوب، دون أن تتحول العلاقات الجنسية إلى مشاعية جنسية، وأن تتحجر العواطف الإنسانية في قوالب

اسمنتيه جامدة؟ إن الغرب يعاني، أكثر ما يعاني اليوم، من تفكك الأسرة.. فكيف بها وقد ذابت، وتلاشت في حياة الناس؟ لقد خيبت التجربة العملية ما توقعه ماركس من ذوبان القومية والأسرة، فقد تأصلتا وقويتا بالماركسية، ولم تضعفا.

٥ - وماركس يؤمن بالطبقات والصراع الطبقي. ونحن، وإن كنا نؤمن بأن أصحاب المال والجاه والسلطان كثيراً ما يستخدمون مالهم وجاههم وسلطانهم في استغلال الضعفاء واستذلالهم، إلا أننا مع ذلك نرى بأن المجتمع لا يمكن أن يقسم إلى شرائح طبقية متصارعة تقسيماً حدياً جامداً.. فالمجتمع يجب أن ينظر إليه ككل، على أساس أنه وحدة متكاملة. والتقسيم الوحيد الذي يمكن أن يقسم إليه المجتمع، هو: الصالحون والطالحون، أو أنصار الحق وأنصار الباطل، بغض النظر عن أي انتماء جنسي أو طائفي أو إقتصادي.. وسنجد أن من بين من وصفهم ماركس بالطبقات المستغلة أناساً صالحين، ومن بين من وصفهم بالطبقات المستغلة أناساً طالحين.. ألم يجهز عثمان بن عفان، وهو من كبار الأثرياء، جيش العسرة؟ ألم يوزع تولستوي، وهو إقطاعي، أرضه على الفلاحين، بدون مقابل؟ ثم هل يمكننا أن نعتبر الخائن، والجاسوس، والعميل، والمهرب، والمرتشي.. مغدورين، ونعدهم مع

الطبقات المستغلة، لا لسبب إلا لأنهم ليسوا رأسماليين ولا إقطاعيين؟ نحن بذلك لا ندافع عن الرأسمالية والإقطاع كنظامين اقتصاديين استغلاليين، وإنما في سبيل وضع الأمور في نصابها، والتدليل على أن الصراع الذي يحدث في المجتمع إنما ينشأ عادة بين الخير والشر، بين التطور والجمود، بين الحرية والعبودية.. فمن كان مع الخير والتطور والحرية، بغض النظر عن موقعه الاجتماعى أو السياسي أو الاقتصادي، فهو من الصالحين. ومن كان مع الشر والجمود والعبودية، بغض النظر عن موقعه أيضاً، فهو من الطالحين.

إن تقسيم الشعب إلى شرائح طبقيه متصارعة ليس له إلا نتيجة واحدة هي: تفسيخ وحدته الوطنية، وإهدار طاقاته فيما لاطائل وراءه. ثم، ألم تنشأ مايسمى بطبقة البيروقراطية، طبقة المديرين وكبار الموظفين، بديلاً للطبقات المستغلة، في الأقطار التي الغت الطبقات؟

٦ - وماركس حدد قيمة السلعة بمقدار الجهد الفكري والعضلي الذي بذل في إنتاجها، متجاهلاً بذلك الندرة، والإبداع. فقطعة نقد أثرية نادرة، كانت لاتساوي في زمانها أكثر من عشرة فلوس، هي اليوم، في عرف المؤرخين وعلماء الآثار، تساوي عشرة الآف دينار. إن ألف طن من البصل، وألف مقعد من الخشب، لا تساوي

في جيد الزمن قصيدة رائعة جادت بها قريحه شاعر مطبوع، أو لوحة فنية رسمتها أنامل فنان موهوب، أو قانوناً علمياً، أو نظرية فلسفية، تفتق عنها عقل عبقري.. العلم والفن والأدب والفلسفة.. الندرة والعبقرية والذكاء والإبداع.. ليست سلعاً تعرض للبيع في أسواق البطون والشهوات والغرائز، لها سعر وقيمة وفائض قيمة، ولا يمكن للتجار الذين يبحثون عن الربح أن يقدروها ويفهموها.. فكيف يمكن إذن أن نقدر الجهد المبذول في خلقها وإبداعها، ولا أقول في إنتاجها، فأحط من قدرها، وأنزلها من عليائها؟ كيف يمكن تقدير هذا الجهد المبذول، وقد يكون لحظة تجل، أو سنوات طويلة من الإعداد والاستعداد والبحث والتقصي والفكر؟

٧ ـ لقد اعتبر ماركس الأفكار والقيم أشياء مادية، إذا ما حملتها الجماهير، وتأثرت بها.. فالرصاصة كالكلمة الثورية، كلتاهما مادة. وماركس بذلك يحمل الفكر فوق ما يحتمل، ويرفع من قدر المادة، بحيث يساويها بالفكر. إن الكلمة الثائرة تعمل عمل الرصاصة في ميدان القتال، إلا أن الكلمة تبقى في الدماغ وعلى اللسان معنى، أما الرصاصة فتبقى في فوهة البندقية مادة جامدة.

٨ ـ والعمال، في عرف ماركس، هم عمال الصناعة، طبقة

البروليتاريا الكادحين. وهم هم المؤهلون، دون سواه من الفلاحين والتجار والمثقفين، لتفجير الثورة وقيادتها، وتغيير المجتمع. لقد جاءت جميع ثورات العا الثالث، بصورة خاصة، مخيبة لتوقعات ماركس، فقد حمل الفلاحون فيها العبء الأكبر.. لقد قامت ثور الصين، وثورة الجزائر، وثورة كوبا، وثورة فيتنام. على أكتاف الفلاحين، بالدرجة الأولى، لأن الفلاحين يشكلون في العالم الثالث العنصر المستغل المظلوم. ولا أدري كيف غاب عن بال ماركس، وهو يستعرض تاريخ العالم، أن الذي قام بالثورات فيها لم يكونوا من البروليتاريا.. فكيف به وقد اعطى عصا السبق للبروليتاريا، بعد أن ظهرت هذه إلى عالم الوجود. واستبعد ما عداها؟ وهل كان ماركس نفسه، وهو فيلسوف الماركسية وزعيمها، من طبقة البروليتاريا، أم من الطبقة الوسطى، التي وصفها بالتخاذل وعدم الاستقرار، وسمى رجالها أصحاب الياقات المنشاة؟

لقد غاب عن بال ماركس أن الظلم وحده لا يفجر الثورة، وأنه الذي يفجرها أربعة عوامل مجتمعة، الظلم واحد منها.. فالثورة لا تقوم إلا إذا ظلم الناس، وشعروا بالظلم، وبرزت من بينهم قيادة مخلصة واعية خططت لهم وقادتهم، ثم تحركوا هم بإرادة مصممة وتضحيات لا

تحد، في سبيل تحقيق أهدافهم. والعوامل الثلاثة الأخيرة: الشعور بالظلم، والقيادة المخلصة الواعية، وإرادة التضحية، لاتختص بفئة دون غيرها، ولا بطبقة دون طبقة أخرى، وإنما هي مشاع لكل إنسان مضح مخلص، أيًّا كان موقعه في المجتمع.

٩ - وربط ماركس الأخلاق والسلوك بالعوامل المادية أيضاً.. فالإنسان المحتاج الفقير المضطهد لا يؤمن بقيم ولا مثل، ولا يضبط سلوكه أخلاق، بسبب حاجته وفقره واضطهاده، وكأن القيم والمثل والأخلاق منبعها المعدة، لا القلب والعقل. ومع ايماننا القوي بأن الحاجة والفقر والاضطهاد عوامل قد تفقد بعض الناس بعض توازنهم العقلي والنفسي، إلا أن هذه العوامل ليست العوامل الوحيدة التي تحدد أخلاق الإنسان وسلوكه، بل إن هناك عوامل أخرى كثيرة تفعل ذلك، بعضها أقوى منها كالإيمان، والوعي، والتربية.. وندلل على ذلك بسلوك الناس في ديار الغرب الغني المتقدم اقتصادياً.. فهل الجريمة والرذيلة.. هل الشذوذ والانحراف، مصدرها الفقر والحاجة والاضطهاد، بالدرجة الأولى؟ إن الجرائم والرذائل هناك، كماً وكيفاً، أعلى منها في كثير من البلدان الفقيرة المتخلفة، لا لسبب إلاَّ لفقدان الإيمان والتوجيه الصحيح.

١٠ـ وتجاهل ماركس الدوافع الإنسانية الغريزية حين دعا إلى شيوع التملك . حب التملك شيء ، غريزي في الإنسان ، يمكن تحديده أو الحد من طغيانه بقوانين وأنظمة ، ولكن لا يمكن الغاءه أو كبته . نحن مع ماركس في عدم استخدام وسائل الانتاج ، أيّاً كان نوعها ، في استغلال الناس واستذلالهم ، ولكن ذلك لا يعالج بالفصل ما بين الإنتاج والمنتج ، بل بتقليم أظافر الاستغلال بالقوانين والنظم المناسبة . الإنسان ، أي إنسان ، لايمكن أن يعطي أحسن ماعنده إلا إذا تلاقت حوافزه الشخصية مع طموحات المجتمع . وكل إنسان يعرف جيداً طاقاته وقدراته وميوله فيستخدمها جيداً في إفادة نفسه وإفادة مجتمعه . وزيادة سعي الإنسان في تحسين أحواله المعاشية الشخصية لا يتناقض مع مصلحة المجتمع ، إلا أن يكون ذلك أنانية سلبية ضارة ، تستغل المجتمع في سبيل كسب فردي شخصي .

لقد اكتشفت الدول الاشتراكية ، عند التطبيق ، العاطفة التي تربط الفلاح بالأرض ، فعينت له قطعة خاصة ، يستغلها لصالحه ، كما اكتشفت الحوافز الفردية في الإنتاج . فعينت للفلاح والعامل نسبة معينة من الإنتاج ، حين يتجاوز في عمله حداً معيناً منه ، وهكذا . فكل إنسان يرى الكون بعينيه ، لا بعيني غيره . إن قتل

الحوافز والدوافع الشخصية الفردية في الإنتاج قد يقود إلى الإهمال واللامبالاة. وليس فشل كثير من التطبيقات الاشتراكية في المجال الزراعي، كفشل التسيير الذاتي في الجزائر وتأميم مصانع الجمهورية العربية المتحدة.. وفشل بعض المزارع التعاونية في الدول الشيوعية، إلا دليلاً على ما ذهبنا إليه.

١١- وماركس نادى بدكتاتورية الطبقة العاملة، لحماية النظام، وبخاصة في بداية تطبيق الاشتراكية، من أعداء النظام، في الداخل والخارج. ولكن ألا يحق لنا أن نتساءل، في بلد كالاتحاد السوفييتي مثلاً، مضى على مثل هذه الدكتاتورية فيه نيفاً وستون عاماً، وما زالت عصاها مشرعة.. ألا يحق لنا أن نتساءل: مم يخاف الاتحاد السوفييتي في الخارج وهو دولة عظمى، ويمتلك أخطر أنواع الأسلحة، بما فيها القنابل الذرية والهيدروجينية والنيترونية؟ وممّ يخاف في الداخل، وقد ضرب النظام جذوره في الأعماق؟

لقد أعطت هذه الدكتاتورية الحزب، في الدول الشيوعية، الحق في أن يحكم الشعب بمفرده ويتحكم فيه. وأعطت اللجان والمكاتب العليا، وعلى رأسها المكتب السياسي، الحق في أن تحكم الحزب وتتحكم فيه. وأعطت سكرتير هذا المكتب، وهو أيضاً سكرتير الحزب، الحق لأن يحكم ويتحكم في الحزب

والحكومة معاً، وأن يحكم البلاد بمفرده حكماً دكتاتورياً . . وإلا فكيف نفسر، منذ ستالين حتى بريجنيف، كلما جاء رئيس للحزب والدولة جديد، اتهم من سبقه بشتى التهم، وعلى رأسها حكم الفرد الدكتاتوري، حتى أن هذه الظاهرة أصبحت عامة شاملة في كل الدول الشيوعية. وما محاكمة أرملة ماوتسي تونج وأساطين عهده في الصين إلا محاكمة لماو وعصر ماو كله.

ومن طريف مايروى في هذا الصدد أن أحد الرفاق، في المؤتمر الشيوعي العشرين، دس لخروشوف سؤالا مكتوباً، بعد أن هدم خروشوف الهيكل على رأس ستالين، قال فيه: أين كنت حين كان ستالين يمارس مثل هذه الممارسات الخاطئة؟ وسأل خروشوف عدة مرات، وبأسلوب درامي كعادته، عن صاحب السؤال، وهو يعلم بأنه لن يكشف عن هويته خوفاً منه. فلما لم يفز خروشوف بطائل قال: أيها الرفيق، لقد كنت أجلس في مكانك، يوم كان ستالين يقف في مكاني. وضاع السؤال والجواب وسط عاصفة من الضحك والتصفيق المتواصلين في المؤتمر.

قد تكون هذه الدكتاتورية معقولة أو مقبولة في هذا النظام وفي كل نظام يحدث في المجتمع انقلاباً جذرياً، فيما لوحددت بفترة زمنية مناسبة، هي الفترة اللازمة لإرساء النظام على قواعده، وحمايته من أعدائه، أما أن تبقى هكذا سيفاً مسلطاً على رقاب الشعب، فذلك هو الخطر بعينه. أليست الطبقة

العاملة، طبقة الأكثرية، هي التي تحكم في الدول الشيوعية؟ فلم إذن استمرار الدكتاتورية؟ وهل تخاف الأكثرية من الأقلية، فتعلن عليها دكتاتوريتها؟

لقد نشأ في المعسكر الشرقي قياصرة جدد، أين منهم قياصرة الأمس؟ إن الدكتاتورية لا تخدم عادة إلا طبقة محدودة معينة، أو فرداً أو أفراداً معينين، ولكنها لا تخدم الشعب بعامته، في أي حال من الأحوال.

١٢ـ وماركس كان كلما دعا للثورة، قرن دعوته باللون الأحمر.. وبهذا اللون لون الشيوعيون أعلامهم. نحن لا ننكر بأن السلاح والدم قد يكونان الخيار الوحيد للثورة في بعض الأحيان، إلا أن هناك خيارات أخرى للثورة قد تكون في كثير من الأحيان بدائل لها.. فمعظم الأنبياء والرسل لم يحملوا في حياتهم سلاحاً قط إلا دفاعاً عن العقيدة، ومع هذا فجروا في حياة البشرية أعمق الثورات وأدومها. والعلم ألم يفجر هو الآخر ثورات وثورات، نقلت البشرية من الحضيض إلى عنان السماء؟.

١٣ـ وماركس أعطى كل ماجاء في نظريته صفة القطع والحتم، وكأنه في ذلك منزه عن الخطأ والخطل.. وبنفس العقلية والمنطق سار ويسير الشيوعيون.. فهم هم العارفون والتقدميون والمثقفون، وما عداهم جهلة

رجعيون. أليس في هذا افتئات وعنجهية؟ كل إنسان معرض للخطأ والصواب. والحقيقة قد تكون عندك، أو عند غيرك، أو حتى غائبة مغيبة عنكما.. وجل من لا يخطىء. لقد جاءت التجربة العملية، فأسقطت من النظرية الماركسية كثيراً من أعمدتها الأساسية، لا مجال لذكرها هنا، ولدرجة أن رفع لينين شعاره: «إذ اصطدمت النظرية بالتطبيق، فالتطبيق هو المتبع». الشيوعيون مايزالون يصفون اشتراكيتهم بالاشتراكية العلمية، دامغين كل ما عداها بالدجل والشعوذة. فهل هذا جائز، حتى بالجدل الذي تؤمن به الماركسية؟

لقد بعدت التجربة العلمية بالنظرية، في ديار الغرب، بعداً نأى بها عن منابعها الأصلية، ومع ذلك فقد بقي الشيوعيون في العالم الثالث يجترون النظرية، وهم في أماكنهم يراوحون.. إنهم ما يزالون يرددون شعارات ومفاهيم قد تخطاها الزمن، وتخطتها التجربة.. الثورة العالمية، وحدة الطبقة العاملة، صراع الطبقات، دكتاتورية الطبقة العاملة، الدين أفيون الشعوب، القومية ظاهرة بورجوازية، زوال الاسرة، وما إلى ذلك.. لقد تطور كل شيء من حولهم، وبقوا هم حيث هم جامدين، ولم يفعلوا سوى أن وزعوا أنفسهم على شيوعي العالم، أحزاباً وحكومات، فهذا شيوعي

روسي، وذاك صيني.. هذا يؤيد الحزب الشيوعي الإيطالي، وذلك يشجبه، وهكذا..

١٤- وآمن ماركس بالحتمية التاريخية، معلناً أن التغيرات الاجتماعية تحدث تلقائياً، إذا ما توفرت لها الأسباب والظروف المناسبة، ضارباً بعرض الحائط الإرادة البشرية، والعوامل الإنسانية الأخرى. الإنسان ليس جماداً يعيش بقوانين ذاتية، ليطبق عليه تبخر الماء بالحرارة وتجمده بالبرودة. كما أنه ليس حيواناً يعيش بغرائزه، ليطبق عليه أسلوب الحيوان، الذي لم يتغير منذ وجد الحيوان، في الافتراس والصيد. الإنسان كائن هو مفكر مريد، يعيش بفكره وإرادته قبل أن يستجيب لنزواته وغرائزه.. وبهما، بالفكر والإرادة، قبل غيرهما، طور نفسه، وطور حياته ومجتمعه، وصنع التاريخ. والإنسان، بعد الله، يصنع مصيره بنفسه.

١٥- وماركس ذهب إلى أن الكون كله، بما فيه ومن فيه، مصطرع الجوانب، متنافر العلاقات، مع أن الكون «كل مختلف متكامل». فالشمس والهواء والماء والتربة تتكامل معاً في انسجام مقدور، فيعيش بذلك النبات، وعلى النبات يعيش الحيوان، وتتكامل مسيرة الحياة. ولو كان الكترون الذرة متنافراً مع بروتونها لتفجرت، ودمرت نفسها، ودمرت ما حولها.. وبهذا تفجر الذرة..

الفكـر الماركسي فكـر حـدي، سيطـر عليـه الصراع، والثورات، والدم.. كما سيطرت عليه العرضية والعبثية. لقد أقام ماركس نظريته على ظروف القرن التاسع عشر الصناعية، فصاغ منها قوانين، وألبسها ثوب العلم والتقدم، وأعطاها صفة الديمومة والشمول، وزعم أنها صالحة لتفسير جميع أسرار الكون والحياة، في كل زمان ومكان.. وهذا يخالف المنهج الجدلي الذي اتخذه منهجاً. ولهذا تهاوت معظم أعمدة نظريته في أقل من قرن واحد من الزمان، وجاءت التجربة اللينينية وتجارب الشيوعيين من بعده لتضع الأمور في نصابها الصحيح. لقد وضع ماركس نفسه في قمقم صغير، حين وضع العنصر المادي أساساً وحيداً لكل قيمة أو تغيير، وبهذا وقع، منذ البداية، في الأخطاء التالية:

١ ـ اعتمد ماركس التاريخ وسيلة لبناء نظرية، واستنباط قوانين. والتاريخ، كما هو معلوم، ليس فيه من الحقائق القطعية الثبوت ما يمكن الاعتماد عليها في استنباط قوانين علمية ثابتة، لأن التاريخ، وكل العلوم الإنسانية. التي تعتمد على الخبر والرواية والإحصاء لايمكن أن ترتقي لأكثر من مرتبة البحوث العلمية، أو النظريات الافتراضية الظنية التقديرية.

٢ ـ وحتى في اعتماده على التاريخ، فإنه قد عمم فترة معينة منه، في مكان محدد، هي فترة القرن التاسع عشر في أوروبا

بالذات، عممها على عصور التاريخ كلها. وهذا مناقض للأسلوب العلمي الذي اتخذه أسلوباً.. فالقانون العلمي يجب أن يشمل جميع الحالات التي يتناولها، بدون أن تشذ عنه حالة واحدة، وإلا هبط إلى مستوى النظرية الظنية التقديرية، أو الفرضيه التي هي بحاجة إلى بحث وتجربة وتحقيق.

٣ - إن إهمال ماركس أثر الدين في حياة الناس ونفوسهم، وأثر القومية والوطنية في علاقاتهم ومشاعرهم، وأثر الأخلاق والقيم والمثل العليا في عطائهم وتطلعاتهم.. طوح بنظريته بعيداً عن حياة الناس الحقيقية، وعناصر الخير ومنابع القوة فيها وفيهم. ولهذا اصطدمت النظرية، عند التطبيق، بهذه القيم والمفاهيم، فكانت هي الخاسرة. لقد عادت المجتمعات الشيوعية إلى الدين، بالرغم مما بذل في إبعادهم عنه من محاولات وجهود.. وما زيارة البابا الأخيرة لبولندة، واستقباله هناك استقبال الفاتحين، وما مقاومة مسلمي الاتحاد السوفييتي لعلمنة مجتمعهم، إلا صورٌ لتلك العودة الحميدة. أما القومية والوطنية، فقد ذكرنا سابقاً، أنها تأصلت بالنظام الشيوعي القائم، ولم ترتد، ولم تنكص على عقبيها.

٤ - إن بداية الكون بالأزل، ونهايته بالأبد، والعرضيه في وجوده، والعبثية في علاقاته.. كل ذلك وغيره كلام غير

منطقـي ولا علمـي ، لأن الأزل والأبــد نقطتــان غير محددتين، ولأن العرضية لا توجد شيئاً محدداً ، والعبثية لا تقيم علاقات في كون محكم الصنع والتدبير . أليس لكل موجود موجد؟ أليس لكل مسيرة من هدف؟ أليس لكل شيء بداية ونهاية؟ وحياة ماركس خير دليل على ذلك، فقد ولد ومات ووضع نظرية كون وجد هكذا عرضاً لذاته وبذاته، منذ الأزل، وسيبقى يسير هكذا عرضاً لذاته وبذاته إلى الأبد . . ! هذا كون ماركس، لم يخلق إلا في خيال ماركس . لو كانت العرضية والعبثية تنتظم الكون وجوداً وعلاقات، إذن لسقط العلم كله، لأن العلم يبحث في العلاقات الثابتة التي تنتظم الأشياء، بقانون السببية . هل تريدون أمثلة؟ لابأس . .

تنبأ ماركس بأن المجتمع الاشتراكي الأول لابد وأن يظهر في دولة صناعية متقدمة كإنجلترا أو ألمانيا ، وأن الذي سيقوم بذلك البروليتاريا . وجاءت ثورات روسيا والصين وكوبا وغيرها مخيبة لتوقعاته، إذ قام بالثورات فيها الفلاحون، الذين عدهم ماركس احتياطياً للطبقة الرأسمالية المستغلة، أي أنهم ضد الثورة والتغيير ، أو أنهم عنصر معوق لها ، على أقل تقدير .

ولقد قلب تقدم العلم والتكنولوجيا ، في القرن العشرين، مفهوم ماركس في التطور المرحلي، فلم يدر بخلده قط أن

الحقوق والامتيازات التي حصل عليها العمال بسبب ذلك وبخاصة في بلدان العالم الحر، كما يسمونه، جعلت هذ المجتمعات تقرب من الاشتراكية، كما جعلت المجتمعات الشيوعية تقرب من الرأسمالية. وما هرب عمال ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية، وهجرة يهود المعسكر الشرقي، وبخاصة اليهود الروس، إلى أمريكا، إلا دليل حي على ذلك.

ثم، ألا يهدم الصراع القائم حالياً بين الدول الشيوعية والأحزاب الشيوعية مقولة الصراع الطبقي تلك؟ أليس كلها تحكمها طبقة واحدة، هي طبقة البروليتاريا، بدكتاتورية الطبقة العاملة، فلم الصراع بينها إذن؟ لابد وأن تكون هناك أسباب أخرى غير الصراع الطبقي.. الصراع الإقليمي على الحدود، كما هو حاصل بين روسيا والصين.. والصراع على رفض التبعية لموسكو، كما حصل في المجر وتشيكوسلوفاكيا، وكما هو حاصل الآن مع بولندة. والصراع على أقلمة الماركسية بالنسبة لظروف كل بلد تطبق فيه الماركسية، وهكذا.. الصراع إذن ليس صراعاً طبقياً بأية حالة من الأحوال. ولو أن ماركس استهدى بالتاريخ كله، لا بفترة محددة منه في مكان محدد، لأنبأه التاريخ بملء فيه بأن جميع الديانات كانت ثورات فوقية، جاءت بها السماء على الأرض، ولم تكن صراعاً طبقياً، ولا أرضياً. فالدين الإسلامي مثلاً بعث به أمي في الأميين، في مجتمع رعوي تجاري، معظم الناس فيه يكادون يشكلون طبقة

واحدة، بمفهوم ماركس في الطبقات. أما القول بأن ذلك المجتمع كان مجتمعاً للعبيد، فقول متهافت، لأن العبيد كانوا فيه من القلة، بحيث لا يشكلون أي خطر أو مشكلة. فهل الذين حملوا الإسلام، وكان منهم النبي والخليفة والجندي والقائد.. هل كان كل هؤلاء من العبيد، أم من سراة العرب وأثريائهم؟ لقد كان في هؤلاء بعض العبيد، وجدوا في الدين الجديد ملجأ لهم وملاذاً فاتبعوه، كما اتبعه غيرهم.. فالدين الجديد لم يأت لتحرير العبيد فحسب، وإنما جاء لتحرير الناس من إسار أنفسهم، في كل زمان ومكان. فالإسلام لذلك لم يأت إذن نتيجة لإفراز طبقي، أو بسبب تطوير في وسائل الإنتاج، وإنما جاء رسالة فوقية، مستقلاً عن فعل البيئة وتفاعلاتها، فقلب كل شيء رأساً على عقب، وغير مسيرة التاريخ، وما يزال، تغييراً جذرياً.

وهناك سؤال كبير كبير يطرح نفسه بنفسه، أو يطرحه الناس على بعضهم متسائلين: إذا كانت الماركسية لا تصلح لأن تكون هادي عمل، ودليل حياة، وأن فيها من الأخطاء والانحرافات ما ذكرت ويذكر غيرك، فكيف قامت عليها دول، ودول عظمى.. وكيف اهتدت بها أحزاب، وأحزاب كبرى.. وكيف آمن بها أفراد وجماعات يربو عددهم على نصف سكان المعمورة؟

ونحن بدورنا نجيب على مثل هذه التساؤلات بتساؤلات

أخرى ..

هل بالإسلام أم بالماركسية أضاء العالم قناديله طيلة ثمانية قرون أو يزيد؟

وهل بالتنظيم والعلم أضحت اليابان من أرقى شعوب العالم، إن لم تكن أرقاها، أم بماركس والماركسية؟

وهل يهرب عمال ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية، كما ذكرنا، بالماركسية، أم من الماركسية؟

وأخيراً وليس آخراً، هل أدارت الصين ظهرها لروسيا واتجهت لأمريكا لتفوز ببركات ماركس والماركسية؟

لقد طرحت الماركسية في أوروبا، في أواسط القرن التاسع عشر، والساحة العقائدية هناك تكاد تكون خالية .. والمصانع تطحن عظام العمال، وتستقطر عرقهم ذهباً .. فوجد فيها المثقفون بغيتهم، ووجد فيها العمال خلاصهم، ووجدت فيها شعوب المستعمرات حريتهم .. فالتقى هؤلاء بأولئك عليها يتدارسونها ويطبقونها في حياتهم، وهم لو التقوا على غيرها لحصل لهم ما حصل بها ونجحت الثورة بالماركسية في روسيا، واستطاع رجل عبقري كلينين أن ينقل المجتمع الروسي نقلة نوعية، من مجتمع اقطاعي كنسي متخلف، إلى مجتمع صناعي اشتراكي متقدم، بفضل عبقريته وتجاربه، بالدرجة الأولى، فأعطى ذلك للماركسية زخماً جديداً، وبخاصة بعد أن أخذت روسيا تدعو لها وتنشرها في الخارج. وجاءت الحرب العالمية

الثانية، فمكن دخول الجيش السوفييتي بلدان أوروبا الشرقية للأحزاب الشيوعية من تولي الحكم فيها، فزادت بذلك رقعة الماركسية. كما تمكن عبقري آخر، في اعقاب الحرب، من رفع أعلامها على الصين، فسار ماو بها كما سار لينين بروسيا، وهكذا امتدت رقعتها وامتدت، بفضل ظروف العالم بصورة عامة، وظروف البلدان التي تبنتها بصورة خاصة، وبفضل عبقريات بعض العبقريات، بأكثر من صلاحية ما حملته الماركسية في ثناياها من مبادىء وأفكار.

ونحن في ذلك لا نقلل من قيمة الماركسية وأثرها، وبخاصة بالنسبة لمن تبناها وطبقها، وإلا لكانت قد ارتدت بهؤلاء إلى الوراء، ولكننا بالمقابل لا نستطيع أن نغفل أثر التجربة، التي كان لها أعظم الأثر، في تطور تلك المجتمعات وتقدمها، بدليل أن الشيوعيين حين يتدارسون الماركسية، أو يطرحونها على الناس، إنما يتدارسون ويطرحون «اللينينية ـ الماركسية»، اللينينية كتجربة وتجسيد، والماركسية كدليل نظري. هذا ولكل مدرسة شيوعية زعامتها التطبيقية، وفهمها الخاص بها، المنبثق من ظروفها المحلية الخاصة، بحيث تبعدها في كثير من الأحيان عن منابع النظرية الأساسية بعداً شاسعاً.

ليست النظريات والمبادىء والشعارات إذن نصوصاً جامدة، نقف عندها نرددها بدون أن نرى أبعادها، وبدون أن نستخلص ما يفيدنا، إذا كان فيها ما يفيد.. فهي ما وجدت إلا

لخدمة الإنسان، وإثراء الحياة. وعلينا أن نعرف جيداً مواقع أقدامنا، حتى لا نضيع في فراغ، ونحن ننطلق إلى أهدافنا. أما أن نرى إنساناً ناجحاً، يلبس لباساً معيناً، أو يأكل طعاماً معيناً، فنتخال أن نجاحه راجع إلى لباسه أو طعامه، فنقلده في ذلك لنصبح في الناجحين، فتلك سذاجة ما بعدها سذاجة.. فاللباس قد يكون طويلاً تتعثر به أقدامنا. وقد يكون قصيراً يكشف منا كل عورة. والطعام قد يصيبنا بالإمساك، وقد يصيبنا بالإسهال.. فليس بالتقليد الأعمى تنجز كبار الأعمال. فلا بد من أن نعود إلى أصالتنا أولاً، وعندها فلا ضير علينا إذا نحن بحثنا عما في أيدي الغير، فنأخذ منه ما ينفعنا، ونترك منه ما يضرنا..

ونحن، أولاً وآخراً، عرب مسلمون، لنا قيم وتراث وتاريخ.. ومن هنا يجب أن نبدأ، وإلا تفرقت بنا السبل، وتاه بنا الدليل، فلا مستقبل من لا حاضر له، ولا حاضر من ليس له ماض عريق مشرق.. فلا بد من عود على بدء.

٧ ـ تلاميذ نجباء:

وهكذا أفرز الفكر التوراتي التلمودي أبناء له مخلصين، حملو لواءه، وأضاءوا مشاعله.. فماركس أبعد الناس بنظريته عن أديانهم وأقوامهم وأوطانهم، ونادى بزوال الحكومات، وتحلل الأسر، وسخر من المثل والقيم والأخلاق السائدة، ودعا إلى مجتمع تسود فيه العلاقات المادية.

سارتر بث بفلسفته وكتاباته الوجودية، القلق والعبثية واليأس في نفوس الشباب، فأبعدهم بذلك عن مجتمعاتهم ومشاكلهم الحقيقية، إلى أرصفة الشوارع يفترشونها، وصناديق القمامة يقتاتون منها، ودخان الأفيون والمخدرات يعيشون فيه وبها في أحلام كاذبة - هم إذا ما صحوا على أنفسهم فلكي يمارسوا الجنس بشكل مقزز منفر، بلا ضوابط ولا مسئوليات.

وفرويد صور الإنسان طفلاً يلهو بأعضائه التناسلية، من لحظة ميلاده حتى لحظة مماته، فأرجع بذلك العلوم والفنون والآداب، كما أرجع السلوك والأخلاق والقيم، إلى تسامي الغريزة الجنسية. وحتى الدين أرجعه فرويد إلى أحقاد عقدة أوديب، أي إلى الاعتذار للأب الذي في السماء عن جريمة اقترفها الإنسان في الأرض بحق أبيه الذي على الأرض، لأنه اشتهى أمه، فأخطأ في ذلك بحق أبيه، فلزم له لذلك الاعتذار والمغفرة.

أما هربرت ماركوز، فيلسوف الثورات الطلابية كما يدعى، فقد اتهم البروليتاريا بالتواطؤ مع الرأسمالية، وخيانة رسالتها التاريخية، في مقابل الامتيازات التي حصلت عليها. كما اتهم الشيوعية بأنها قد استبدلت طغيان البيروقراطية بطغيان الرأسمالية.. فالكل عنده قد تحولوا إلى عبيد أرقاء، أو إلى أرقام استعبدها الإنتاج السلعي، الذي أصبح إله العصر، فانسحقت بذلك شخصياتهم، وأضحوا ثيراناً عمياء، على حد

تعبيره، يدورون مع ساقية الإنتاج، وعيونهم مغمضة.. فهو لذلك لا يرى إلا الرفض والثورة والهدم.

يا سبحان الله..؟!

كل هؤلاء الأبناء النجباء لا يرون إلا الثورة والهدم.. الثورة على كل الأوضاع السائدة، وهدم عالم قديم متداع، لبناء عالم جديد مشرق.. أو هكذا يزعمون!

الهدف إذن واحد: الثورة والهدم، ولا تختلف سوى الوسائل.. ماركس يريد الهدم بالصراع الطبقي، وسارتر يريده ببث القلق والعبثية، وفرويد يريده بالغريزة الجنسية، وماركوز يريده بتحريك الطلاب والزنوج والأقليات المعزولة في كل مكان..

إنه هدم الأديان، والأوطان، والأقوام، والحكومات، والأسر، والقيم والمثل والأخلاق، والقوانين والعادات والتقاليد..

إنه هدم الإنسان، وتاريخه، وتراثه، وكل مقدساته.. لماذا؟

ليبقى الميدان خالياً لأم حيدان، أستير، وأبنائها، أبناء شعب الله المختار، ليحكموا العالم، ويتحكموا فيه. وبهذا، ولهذا تعمل القوة الخفية، بأبنائها وعملائها، في الخفاء.. بالدينار والمنصب أحياناً، وبالخنجر المسموم والبندقية المكتومة أحياناً، وبالتشهير والتآمر أحايين أخرى.. وبالدعاية والفكر

والنظريات ، وبالتنظيمات السرية والعلنية كذلك . . لا لبناء عالم جديد مشرق على أنقاض عالم قديم متهدم، وإنما لبناء عالم، السيادة فيه لأبناء يهوذا ، والقيادة فيه للملك من نسل داود . أما الجوييم فليسوا إلا حيوانات آدمية ، لا تستحق سوى العلف والعمل في خدمة أسيادهم، بدون مناقشة ، ولا اعتراض، ولا حتى أنين . . فلننتظر إذن مسيا ، ليخلص الأرض من أدرانها ، على حد زعم التلمود . .

والإ فلنصح من بعد طول سبات ، قبل أن يفوت الأوان . . فهذا ، أو الطوفان! فليس لنا من عاصم سوى الرجوع إلى الله ، والتمسك بديننا الحنيف .

الفهرس

رقم الايداع لدى
مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
(٤١٥) /٨/١٩٨٣



الإدارة والمكتبة - العبدلي - عمارة جوهرة القدس
مقابل وزارة التربية والتعليم
تلفون : ٦٤٠٩٣٧ ، ٦٤٠٩٣٧ ، ٦٢٨٣٦٢
ص.ب : ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن

مكتبة دار الفرقان - إربد - مقابل جامعة اليرموك
تلفون : ٢٧٦٥٠٦

مكتبة دار الفرقان - الشونة الشمالية - شارع فلسطين
مقابل مسجد الشونه الكبير - تلفون : ٢٣٧٣٥٥